مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

Karrar Al Asfoor

الدواعش الأوائل

ايهاب القسطاوى

هشام آدم في حوار مع..

للتوثيق..

أمجد عبد الرحمن

Raghed Rustom

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّةٍ كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيَّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة تمثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.

العدد الرابع والخمسون من مجلة الملحدين العرب للثاني عشر من شهر مايو / أيار لسنة 2017

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير
Gaia Athiest

أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver	Raghed Rustom
الغراب الحكيم	Antoine Tannous
Alia'a Damascéne	X. AHTOHOB
غيث جابري	Johnny Adams
Ali Alnajafi	Liza Paloulian
أسامة البني (الوراق)	A Khodeir
Abdu Alsafrani	Romario Gamal
Zorba Zad	Teky Mikky
RoRo Evil-Girl	ليث رواندي

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي

كلمة تحرير المجلة

فُجعنا قبل عامٍ بمقتل الشاب اليافع عمر باطويل في اليمن على يد الجماعات المتطرفة، وحزن لموته القاصي والداني، حتى بعض شيوخ الإسلام نعوه وانتقدوا الفلتان الأمني وانتشار الجماعات المتطرفة في اليمن، ولكن على أرض الواقع لم يتغير شيء، وما زال أصحاب الأصوات العاقلة المسالمين الناشطين لنشر الفكر المعتدل ونبذ التطرف ملاحقين ومهددين، حيث تم اغتيال الناشط أمجد عبد الرحمن صديق عمر باطويل، في شهر 5 من هذا العام، وكما رسمنا لوحة لعمر ووضعناها على غلاف العدد لتوثيق إحداثيات جريمة مقتله، رسمنا لوحةً أخرى لصديقه أمجد في هذا العدد، من إبداع الفنانة رغد رستم التي صورت لنا فيها صفاء وجهه وابتسامته مختلطةً مع الكون في الخلفية في إشارةً لخلوده، فكم من شهيدٍ ستفقد البشرية بسبب أفكاره، وكم من لوحةٍ سنرسم، وكم من قتيلٍ سننعي، قبل أن يفهم هؤلاء الهمجيون المجرمون، أن قتلهم للجسد لن يقتل الفكرة.

بل أن قتلهم للجسد سينشر الفكرة أكثر ويجعل صاحبها خالدًا في الذاكرة وهم الذين لن يذكرهم أحدٌ إلا كعالةٍ على البشرية، دون أسماء، دون ملامح، فقط قتلة بربريون زائلون هم ورصاصهم وأفكارهم الهشة الضعيفة التي تراق الدماء لحمايتها!

لا إرهابكم، ولا بنادقكم، ولا تهديداتكم، ستمنع الأفكار من الانتشار، ولّى زمن محمدٍ الذي كان يغتال فيه من ينتقده، ويرهب به الآخرين، ولّى زمن الحجب والمنع، ولّى زمن الترهيب، وكل شهيدٍ يسقط هو وصمة عارٍ على جبين دينكم وشيوخكم وكتبكم، ألم تكفِكُم دماء الملايين التي سالت بسبب عقائدكم الإجرامية؟ ألم يشبع إلهكم الوهمي السادي من رائحة الدماء التي تراق للدفاع عنه؟ أمام ماذا؟ أمام الأفكار!

تعازينا لأسرة وأصدقاء الفقيد، قلوبنا معكم، صوت أمجد باقٍ وصوت رصاصهم إلى زوال.

Gaia Athiest

الفهرس

كلمة تحرير المجلة 2

الفهرس 3

مشعل خان واستفزاز مشاعر المسلمين 4
د. عبد العزيز القناعي

الدواعش الأوائل 8
ايهاب القسطاوى

قراءة في كتاب: 14
أصل الأنواع لتشارلز دارون (1)
عادل أحمد

سقوط نظرية الأخلاق الدينية 22
Karrar Al Asfoor

للتوثيق.. 30
أمجد عبد الرحمن

الحمد لإحسان الناس 32
عن مقال لدانيئيل دينيت
ترجمة Usama Al-Binni

هشام آدم.. في حوار مع 43

سيرة محمد بن آمنة 61
ترجمة عن منشورات شارلي إيبدو

رواية فاتنة 68
سام مار

كاريكاتور 78

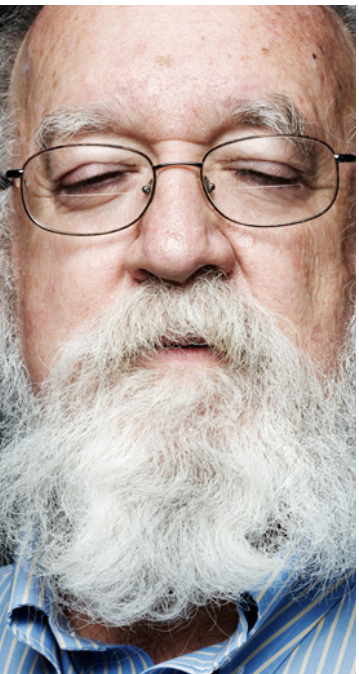

مشعل خان واستفزاز مشاعر المسلمين

د.عبد العزيز القناعي

من ضمن القوانين التي ما زالت تُشكِّل اعتداءً على وجود وحياة الإنسان في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وعلى قِيم الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان - أو ما تبقى منهما - هي قوانين ما يعرف بازدراء الأديان، أو الطعن في الإسلام، أو الذات الإلهية، وغيرها من التشريعات التي تُحاسِب التطاول الكتابي واللفظي على الأنبياء والصحابة حتى وصل الأمر إلى قوانينَ تُعاقِب بل وتجرِّم انتقاد كتب البخاري ومسلمٍ ومن لفّ في فلكهما.

فمن وضع مثل تلك القوانين في مجتمعاتنا؟؟...ولماذا استمرت إلى اليوم كفزاعةٍ يتم استخدامها ضد كل نقدٍ وحرية رأي؟؟... والأهم هل حافظت فعلًا على الأخلاق أو حتى قلّصت من "جريمة" التطاول على هؤلاء الأنبياء والصحابة وأموات التاريخ الإسلامي؟؟!!

علينا في البداية أن ندرك بأن غالبية وجلّ القوانين الموضوعة في الدساتير العربية تأخذ مفاهيمها واختياراتها من الإسلام والشريعة الإسلامية تحديدًا، ثم يأتي بعدها من تـقاليد المجتمع وعاداته، وبعدها من مرجعياتٍ متشابهةٍ خارجيًا، بمعني النقل والتعريب للقوانين المختلفة، الفرنسية تحديدًا.

وتتميز القوانين العربية بمقاومتها للحداثة، وبمعارضتها لحقوق الإنسان، أو بمناهضتها للعقلانية والفلسفة.
فحتى لو كانت المواد القانونية حول الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان موجودةٌ بل ومكتوبةٌ بماء الذهب، إلا أن التطبيق يكون عكس الكلام المكتوب...

فهكذا نعيش كأفرادٍ في مجتمعاتنا ضمن النفاق والكذب والكيل بمكيالين، والواقع المغاير للشعارات التي يرفعها الحكام والدساتير. وفي العموم، تهدف قوانين ازدراء الأديان ليس إلى المحافظة على الديانة اليهودية والمسيحية أو الديانات الأرضية المختلفة من النقد، فهذه الأديان يعتبرها الإسلام محرّفةٌ ومزوّرةٌ وباطلة، بل تهدف تحديدًا إلى صيانة الإسلام من التشكيك، وعدم تعريض الإسلام للنقد، وحماية المنظومة العقائدية للإسلام بما فيها الذات الإلهية والنبي محمدٍ وصحابته وأمهات المؤمنين وقائمةٍ طويلةٍ من الأموات يتم وضعها وتجديدها لكل من يكتب رأيًا حرًّا في الإسلام ويطالب بإعادة النظر في التاريخ الإسلامي ومنتوجاته برمّته.

وتُشكِّل العقوبات في تلك القوانين -حين تطال الناقد - منظومةً بشعةً من الإجرام (المشرعَن) إسلاميًا، والتعدي على حرية الكلمة، واحتقار آدمية الإنسان.

وتتراوح العقوبات بين السجن والإعدام، وأسوأها حين تغض الأنظمة ومؤسسات القانون والأمن النظر عن حماية الكاتب من الاعتداءات الوحشية من قِبل الهمج والرعاع في الشارع، ليتم تنفيذ حكم الإعدام بدون محاكمةٍ حتى ولو صورية، على يد الناس بشكلٍ يُسقِط وجود مثل هذه الأنظمة بل ويُسقِط الدولة بكبرها مع شعبها...

وهو ما حدث مؤخرًا في العديد من التجارب الوحشية وآخرها مقتل الباكستاني (مشعل خان) الذي اغتيل في حفلة قتلٍ جماعيٍّ وعلى الهواء مباشرةً بتهمة التجديف.

ما نستخلصه من هذه الجريمة، أن قوانين ازدراء الأديان مهووسةٌ بالعقاب وليس الإصلاح، بالانتقام من الفرد وليس مواجهة الرأي والنقد. بل وأتاحت للشعب ممارسة الجريمة بلا عقاب، وجعلت العقوبات تطال العقل والقلم، بينما كان ينبغي على المشرّعين أن يعطوا أهميةً أكبر لصيانة الحريات، والدفاع عنها.

لأنه لا يجوز تجريم أفعالٍ كتابية، أو أفعالٍ تدخل ضمن الحريات العامة. ولأن الأصل في وظيفة القانون هو حماية الحريات، وليس التوسع في تحديد الجرائم، أو الانتصار للموتى والمعتقدات الغيبية. فكما قلنا سابقًا، وقال غيرنا، إن عبارة "دين الدولة هو الإسلام" الموجودة في غالبية الدساتير والقوانين الإسلامية هي عبارةٌ حمقاء، وبلا معنًى ومنافيةٍ للعقل.

لأنه لا يُعقَل ولا يُقبَل أن تتـقيّد الدولة بأي دين. فالعقد الاجتماعي الحديث طالب بأن تكون الدولة مدنية، ومحايدة، وفي خدمة كل فئات الشعب، وبدون أي تحيزٍ أو تمييز، سواءً على المستوى الديني، أم العرقي، أم اللغوي، أم الجنسي.

بينما إذا أصبحت الدولة دينيةً، وتقوم تحت وصاية دينٍ معين، فإنها ستُحوِّل المجتمع إلى راعٍ ورعية. وستؤدي حتما إلى الاستبداد، وإلى الانحطاط، وربما إلى حربٍ أهلية، مثلما أثبتت التجارب في كل من لبنان، والسودان، وسورية، والعراق، واليمن، وليبيا، وأفغانستان، وباكستان، إلى آخره. فمن المستحيل التوفيق بين الدين والدولة، لأن منطق وعمل وآلية الدولة يتعارض مع منطق وفهم وآيديولوجية الدين. فأساس الدولة هو العقل، بينما أساس الدين هو الإيمان المطلق، والخضوع التام غير المشروط لنصوصٍ دينيةٍ مقدسة، جامدة، وغير قابلةٍ لا للنقد، ولا للتطوير ولا للإصلاح.

وتحت دعاوي أن فلانًا وعلّانًا يسيئان إلى مشاعر المسلمين ويتطاولان على ثوابتهم العقائدية، تمّ في مجتمعاتنا إشغال القضاء بالعمل على تكييف القوانين الوضعية لصالح الانتصار للإسلام، وأكاد أُجزِم أن غالبية القضاة -كما نقل لي أحدهم- يرفضون مثل هذه التُهم والدعاوي عقليًا ومنطقيًا وحتى قانونيًا، إلّا أنهم أمام ضغطٍ شعبيٍ بالإضافة إلى أن وجود المادة التي تقول بأن الشريعة الإسلامية مصدرٌ للحكم فإن بإمكان أي مادةٍ كتابيةٍ وفكريةٍ ولفظيةٍ أن تُدخِل صاحبها ضمن مفهوم التطاول والعقاب. وحتى نفند مفهوم الإساءة إلى مشاعر المسلمين حين ينتقد أحدهم الإسلام ومنظومته العقائدية، نقول بأن هذا المفهوم هو مفهومٌ غامض، وغير واضح الدلالة، بل وغير مبرهَنٍ عليه ماديًا.

فالإساءة إلى المشاعر، ليست جريمةً ملموسةً تستوجب عقابًا قانونيًا. وأيضًا الإساءة إلى المشاعر هي مجرد إحساسٍ ذاتي، وغير قابل للإثبات. كما وأن الإساءة إلى المشاعر ليست فعلًا ماديًا، ملموسًا، وقابلًا للملاحظة والقياس. إذ يختلف بين كل فردٍ وآخر بحسب مستوى فهمه ووعيه وقبوله بالحريات الفكرية. فكيف أعاقب فردًا على جريمةٍ غير مكتملة الأركان، بل وغير متفقٍ عليها أصلًا؟!

فتهمة ازدراء الأديان، أو الإساءة إلى الله، أو الأنبياء، أو الصحابة، هي مصطلحاتٌ ضبابية، مبهمة، وغير محددةٍ عمليًا. وتهدف في الواقع إلى قمع الآراء، وليس إلى معاقبة أفعالٍ جُرميةٍ حقيقيةٍ تسيئ إلى الأفراد والمؤسسات بفعلٍ مؤذي.

كما وتفتح هذه القوانين المجال للتمادي في استعمال السلطة القضائية والسياسية ضد الإنسان. وتعطي هذه التهم الفارغة سلاحًا جديدًا للدولة، وللمؤسسات الدينية ولرجال الدين، لكي يحاربوا به كل مواطنٍ يخالفهم في الرأي والتوجه. حيث سيتم اتهامه، ليس بحمل رأيٍ مخالف، وإنما سيتم اتهامه بالتطاول على الثوابت المجتمعية ومنها الدين.

كما وساهمت هذه القوانين ومنذ إصدارها بقمْع كل من يحاول التحرر من القيود الدينية أو الطقوس الشعائرية السائدة داخل المجتمع. وبهذا، يمكن للدولة أو للمؤسسات الإسلامية -وبكل بساطة- أن يضطهدا كل مواطنٍ لا يخضع للدين بالقَدر الذي تريده الدولة والمؤسسات الدينية المتحالفة معها. وبهذا صنعنا من هذه القوانين أداةً قمعيةً استبداديةً تجيز التدخل في العلاقة الخاصة بين الفرد ومن يعبد.

وأمام تزايد حالات الاعتداء على الكتّاب والمثقفين، أصبحت الأنظمة العربية والإسلامية- بتواطؤها مع هذه الرغبات الدينية- ظالمةً ومخلّةً بالعدل.

والأبشع أنها أصبحت شريكةً للمؤسسات الدينية في محاولة فرض الدِين والتدين بالإكراه، وتحت التهديد بعقوبة السجن. حتى غابت مهمة القانون الحقيقي الجنائي في الفصل العادل في التظلمات والنزاعات التي تحدث فيما بين المواطنين أو المؤسسات داخل المجتمع، إلى الدفاع عن الأموات والرموز والتاريخ والذات الإلهية، وكأن الأديان بحاجةٍ إلى عصا الشرطي لضمان احترامها، أو بأن الأنبياء والصحابة يسمعون ويقرأون كل ما يكتب عنهم.

لقد أصبحنا أضحوكة العالم بمثل هذه القوانين الاستبدادية بدعوى المحافظة على مشاعر المسلمين.

حتى تحولت تلك المشاعر إلى منظومة تكفيرٍ وموتٍ بشعةٍ ضد كل من يخالف المعتـقدات والثقافة الإسلامية. وقادتنا إلى إقامة محاكم تفتيش الضمائر والنوايا وفق الكلمة، ثم إلى الاستبداد.

وستؤدي بنا في النهاية إلى الانحطاط المجتمعي والأخلاقي كما هو حاصلٌ تمامًا اليوم.

أحاديث رجل الكهف
The Caveman Talks

قناة «أحاديث رجل الكهف» على اليوتيوب تهدف إلى مساعدة الشباب الناطق بالعربية، التائه في بحرٍ من الثقافة الاستهلاكية على بناء عقليةٍ نقديةٍ مثقفة عقلانيةٍ مستقلة، ومحاولة تبسيط العلوم والبحث في مختلف أنساق المعرفة الإنسانية.

عسى أن يكون هذا الجهد بمثابة إنارة شمعةٍ في ظلمات الجهل الثقافي الذي يعيش فيه الشارع الناطق بالعربية

الدواعش الأوائل

ايهاب القسطاوى[1]

داعش ليست بتنظيمٍ مسلّحٍ ليتم القضاء عليها، داعش أفكارٌ تعيش بيننا، تأكل وتشرب وتتجول في الأسواق، وتخطب في المساجد، وتعبّر عن نفسها في كل مكانٍ وبكل سهولةٍ، ويتم تلقينها لنا في كل لحظة، داعش موجودةٌ في تراثنا وفي كتبنا الدينية، فالتعليم داعشي، والإعلام داعشي، والبيئة داعشية، والمساجد داعشية، والخُطب داعشية، داعشُ في كل مكان، وعندما يخرج من صُلبنا دواعش نقول أولئك مغرّرٌ بهم؛

(1) كاتب وباحث مصري

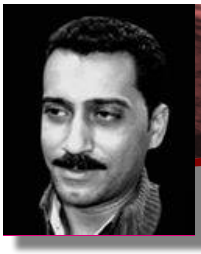

الدواعش الأوائل

ايهاب القسطاوى

داعش لا تمثل إلا الأديان، علاوةً على كون داعش ليست وليدة اليوم، ولا هى ظاهرةٌ جديدةٌ على الحضارة الإنسانية، إنما هي ترجمةٌ فعليةٌ واقعيةٌ صاحبت ظهور الأديان.

داعش المتأسلمة لا تختلف عن شقيقاتها من الديانات الأخرى، فكلٌ منها يبدع في إجرامه عندما يحين وقته، أي عندما تتهدد مصالحه، في هذه الأثناء، يبدأ فى تشييد دور العبادة الخاصة به، على جثث الأبرياء ودمائهم، وكل من يتحدث عن كون الإغارات والاجتياحات العربية لبلدان العالم، كانت إغاراتٍ حضاريةً هدفها نشر الحضارة فهو كاذب، ويغالط وقائع التاريخ.

إن الغزو العربي الهمجي لبلدان العالم كان الأكثر وحشيةً ودمويةً في التاريخ، يكفي أن تعلموا أن كل إغارةٍ كانت تنتهي بالجملة التالية: فاقتلوا المقاتلة (الرجال) واسبوا النساء والذُرّية، فقد صارت النساء والأطفال عبيدًا.

ولنا في حروب خالدٍ بن الوليد ويزيد بن المهلب وقتيبة بن مسلمٍ خير مثالٍ على الرحمة العربية. عندما تناولتُ فى إحدى مقالاتى واقعة ذبح خالدٍ بن الوليد لمالكٍ بن نويرة ومن تم شيّ رأسه أو استعمالها كسنادةٍ لموقد، أيًّا كانت فعلته تلك، فقد تقدّم المكتب الإعلامي للأزهر ببلاغٍ ونفى هذه الواقعة، وزعم أن تلك المعلومة ما هى إلا افتراءً على خالدٍ بن الوليد، واليوم ما هو موقف الأزهر والوهابيين من أحد أعلام الدعوة السعوديين (عائض القرني) وهو يعلن حقيقة الرواية ويفتخر بها، ألمْ يكُفّ الوهابيون بعدُ على تحريضهم لجحافل الجهال المغيبين بالقتل والذبح، ألم يكفهم أن أوطاننا تحوّلت لبؤرٍ للإرهاب والخراب والدمار. جرائم داعش لها امتدادٌ تاريخيٌّ في التراث العربي، وتكملةً لمسيرة بعض القتلة القدامى.

سأحاول في هذا المقال أن اتطرق إلى الامتداد التاريخي لهذا التنظيم، انطلاقًا من الداعشي الأول "خالد بن الوليد"، ذلك الداعشي الذي غزا إيران وقتل عشرات الآلاف، وفي معركة "أُلَيس" المعروفة بـ (نهر الدم) أمر بحبس النهر، وضرب رقاب الأسرى ثم أجرى النهر حتى تحوّل دمًا، وأحرق ودمر المدن وأسر النساء والأطفال والشبان من أجل بيعهم في سوق النخاسة، ثم اتجه إلى العراق لقتل وإبادة النصارى.

دعوني استعرض بعض جرائم خالدٍ بن الوليد الموثقة بكتابات بعض المؤرخين العرب، أمثال: ابن كثير، الذهبي، الطبري، ابن الأثير، وابن حجر العسقلاني، وقد اتفقت الروايات التاريخية على أن مالك بن نويرة قتله خالد بن الوليد، وأن خالدًا هذا نزل بعد ذلك على زوجته ليلى بنت سنان، وأنه مثّل بجثته بعد قتله فقطع رأسه وأحرقه وطبخ عليه الطعام،

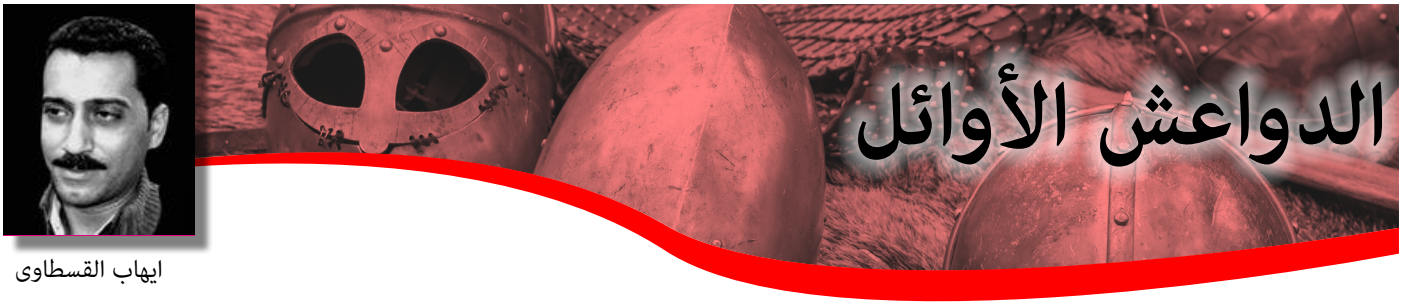

ايهاب القسطاوى

فقد ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية:

"وأمر خالد برأسه (رأس مالك) فجُعِل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قِدرًا، فأكل منها خالدٌ تلك الليلة ليُرهِب بذلك الأعراب من المرتدين وغيرهم، ويقال: إن شَعر مالكٍ جعلت النار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر ولم تأكل كل الشعر لكثرته، وقد تكلم أبو قتادة مع خالدٍ فيما صنع وتقوّلا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى أبي بكر"

وعند ذاك بعث أبو بكر إلى خالدٍ أن يرجع إلى المدينة لينظروا في أمره فعاد مختالًا بنفسه غير عابئٍ بفعلته النكراء آمنًا من العقوبة، والواقع إن للداعشية مرجعياتٌ متعددةٌ في تاريخ العرب ومنها مرجعية خالد بن الوليد، الذي قتل أيضًا آلافًا من مسيحيي العراق.

ادّعى العرب بأنهم غزوا البلدان من أجل نشر الإسلام، لكن الحقائق وأفعال وجرائم أمثال "خالد بن الوليد" تشهد على أنه لا فرق بين غزوات العرب وغزوات الصليبيين والإسكندر الأكبر والمغول واحتلال عصابات الملالي لإيران.
الغزوات الإسلامية وقتل ونهب يهود بني قريظة بأمر سعدٍ بن معاذٍ وأسْر أطفالهم ونسائهم، أشبه بهجمات عصابات قُطّاع الطرق على القافلات، وجرائم عصابات الدواعش.

ولما فتح يزيد بن المهلب طبرستان سار إلى جرجان وعاهد الله إن ظفر بهم ليطحن القمح بدمائهم ويأكل منه، فحاصرهم سبعة أشهرٍ وهم يخرجون إليه فيقاتلونه ويرجعون، وكانوا ممتنعين في الجبل والأوعار، وقصد رجلٌ من عجم خراسان إلى يزيد فأخبره بممر سرّي يؤدي إلى معسكرهم، فانتخب يزيد ثلاثمائة رجلٍ مع ابنه خالد، وبعثه وذلك الرجل يدلّ به، وواعده أن يناهضهم العصر من الغداة، ولمّا كان الغد وقت الظهر أحرق يزيدُ كل حطبٍ عنده حتى اضطرمت النيران، ونظر العدوّ إلى النار فهالهم وحاموا للقتال آمنين خلفهم، فناشبهم يزيد إلى العصر وإذا بالتكبير من ورائهم فهربوا إلى حصنهم وأتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وقاد منهم اثني عشر ألفًا إلى وادي جرجان ومكّن أهل الثأر منهم حتى استلحموهم وجرى الماء على الدم وعليه الأرحاء فطحن وخبز وأكل، وقتل منهم أربعين ألفًا وبنى مدينة جرجان ولم تكن بُنِيت من قبل، ورجع إلى خراسان وولّى على جرجان جهم بن ذخرٍ الجعفي، ولما قتل مقاتلهم صَلبهم على مسافة فرسخين عن يمين الطريق ويساره.

هذا مثالًا بسيطًا جدًا على الرحمة العربية، وفي الحقيقة إن الأمثلة لا تعدّ ولا تحصى، فتاريخ الغزو العربي أغلبه على هذا النحو، وينتهي غالبًا بقتل المقاتلة وسلب الأموال، وسبي النساء والأطفال، ولقد عانى المصريون أشد ما تكون المعاناة تحت هذا الحكم البدوي الجاهل، فالمحتلون العرب أنفسهم لم ينظروا لمصرَ إلا على أنها غنيمةٌ يغتنمونها من أصغر جنديٍّ إلي الخليفة القابع في جزيرة الرمال، متلهفًا على وصول خيرات مصر، وحين نضب المعين واستبد الفقر بأهل مصر تحت تأثير الجزية والضرائب الباهظة، ووجدوا ألا خلاص لهم إلا بدخول الإسلام حتى تُرفَع عنهم الجزية،

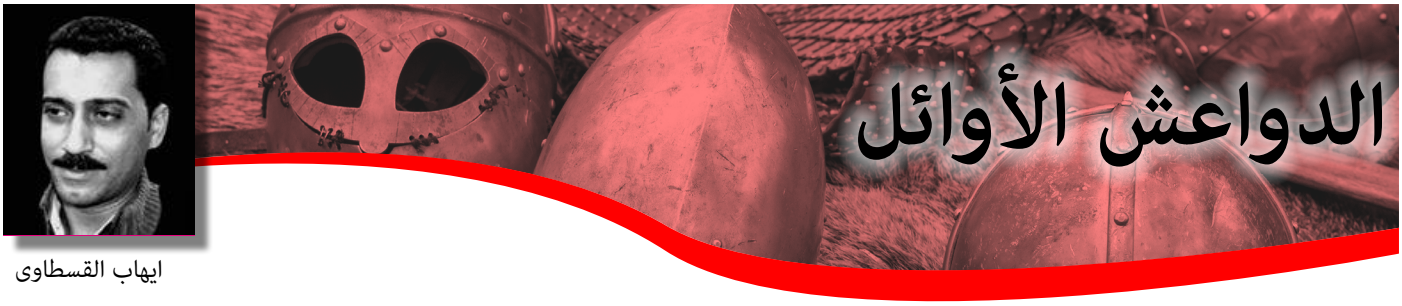

ايهاب القسطاوى

اضطر عمرو بن العاص بأن يطلب من الخليفة عمر بن الخطاب أن يجيز له فرض الجزية على من أسلم من أقباط مصر لأن دخول القبط إلي الإسلام قد أضر بالجزية.

وبعد أن استتب الأمر ورضخ المصريون بدأت سياسة الاستعمار العربي الاستيطاني للمناطق المحتلة. هاجرت قبائلُ عربيةٌ بأكملها من شبه الجزيرة العربية إلى الأراضي المحتلة بحثًا عن أراضي خصبة، وصادر العرب المستعمرون أفضل الأراضي من الفلاحين المصريين، الذين تحولوا إلى خدّامٍ وزرّاعٍ للمهاجرين العرب الواصلين حديثًا، سلب المهاجرون العرب قرًى بأكملها وسيطروا عليها، بعد أن رحّلوا سكانها إلى مناطق أخرى مهجورة، ومع اختلاط الأقلية العربية المميزة بالمصريين بالمصاهرة أصبح جميع من في مصر من مسيحيين ومسلمين أقباطًا أي مصريين.

غزو العرب لمصر أو (الفتح الإسلامي لمصر) مسمياتٌ تنصبّ تحت مسمًّى واحدٍ وهو غزوٌ عسكريٌّ قام به جيشٌ عربيٌ من شبه الجزيرة العربية عام 639 بقيادة عمرو بن العاص، صاحَبه عملية نزوحٍ للقبائل العربية إلى مصر واستيطانها بالكامل عقب سقوط مدينة الإسكندرية في العام 642، لذا لم يكن الاحتلال العربي لنشر الحضارة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فأي حضارةٍ وهم مجموعةٌ من البدو الرعاع، كل إنجازاتهم هي الإغارة على الشعوب وقطع الطرق والرقاب؟ وكذلك لم يكن لرقّة قلب ابن العاص عند سماعه لأنين المصريين وشكواهم من حكم الرومان فأراد لهم الخلاص.

الحقيقة إن الغزو كان للاستيلاء على ثروات مصر واستعباد أهلها، فعندما بلغ ابن الخطاب خبر دخول جيوش عمرو بن العاص لمصر كان لا يزال جالسًا بالجامع بعد أن اقتات على خبزٍ وزيت، ولمّا بلغه النبأ أنّب الرسول الذي جاءه مبشرًا كونه انتظره حتى ينتهي من صلاته. فدخول مصر كان لدى عمر بن الخطاب أهم من أي شيءٍ حتى لو كانت الصلاة.

والدليل القاطع على حاجة الغزاة العرب الحقيقية لدخول مصر هو أن أول أعمال عمرو بن العاص فيها كانت إعادة فتح قناة سيزوستريس (قناة تروجان)، كي ينقل خيرات مصر لجزيرة القحط عن طريق البحر الأحمر، بدلًا من الجِمال التي ينتظر الخليفة فيها كل ما يأتيه من البقرة الحلوب مصر،

وعندما دخل ابن العاص الإسكندرية أرسل للخليفة عمر بن الخطاب رسالةً قال فيها: "أنه وجد بها 40000 بيتًا بها 40000 حمّامًا وأن أعمدة المدينة من الرخام، حتى ظن أفراد الجيش العربي أنها إرم ذات العماد التي تحدّث عنها القرآن، وأنه قد بذل جهدًا كي يقنعهم بأنها ليست إرم، فمنهم من اقتنع ومنهم من لم يقتنع".

علاوةً عن كون المغالطات المستمرة عن كون مصر لم تبادر بالثورة ضد الغزو العربي فهو قولٌ تكذبه كل حقائق التاريخ، فالمصريون ثاروا 120 ثورةً ونجحوا في أحيانٍ كثيرةٍ في طرد العرب من أجزاءٍ كثيرةٍ من البلاد، مما كان يستدعي الخلفاء لإرسال جيوشٍ جديدةٍ لتُعاوِن الجيش العربي في مصر على قمع هذه الثورات والاحتفاظ بها.

إن الفئة التي لم يدفعها العقل للحضارة، هي تركض الآن نحوها، هربًا من داعش، فإن كنتم تريدون خداع أنفسكم فافرحوا بالقضاء على المجموعة، وإن كنتم تريدون الحل الجذري فهو طريقٌ طويلٌ من الإصلاح التعليمي والمجتمعي والأهم هو مواجهة الحقيقة بشجاعة.

برنامجٌ حواريٌ على اليوتيوب تدعم بعض حلقاته شركة Google، يهدف بالدرجة الأولى إلى إجراء الحوار مع الملحدين واللادينيين المصريين، والمتحدثين منهم باللغة العربية من مجتمعاتنا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

فكرة وتنفيذ إسماعيل محمد

/theblackducks
goo.gl/EgjCs7
@blackducksshow
+TheBlackDucks

facebook.com/groups/RadicalAtheists

ملحدون راديكاليون بلا حدود

حواريّة . لادينيّة . إنسانيّة

FAQ

#RA_FAQ
الأسئلة المتكرّرة

#RA_RT
الطاولة المستديرة

#RA_QUOTES
أفضل حكمة

#RA_BOM
كتاب الشهر

#RA_DEBATES

مناظرة

عادل أحمد

قراءة في كتاب

أصل الأنواع

لتشارلز داروين

الجزء الأول

من الملاحظ أن معظم الذين يقومون بنقد نظرية التطور لم يكلفوا أنفسهم مشقة أن يطلعوا حتى على كتاب أصل الأنواع لصاحب النظرية تشارلز داروين، وبالنظر إلى حجم الكتاب في نسخته العربية، نجد أن قراءة كتاب به أكثر من ثمانمائة صفحة مسألة يمكن أن تكون تعجيزية، لذلك فحتى المجتهدين من الذين يعترضون على النظرية يكتفون بالبحث عن النقد الذي وجه لها من قبل كتاب مشكوك في صحة علميتهم في الأصل، وبعضهم أعاد أسئلة هي مردود عليها في الكتاب، لذلك أنا أحاول هنا أن ألخص المبادئ الأساسية لكتاب أصل الأنواع

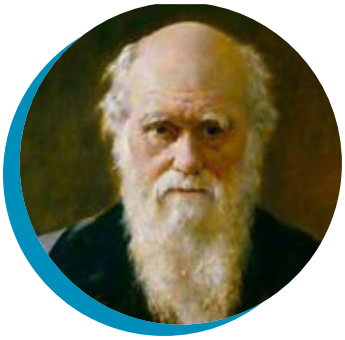

كتاب قراءة في

أصل الأنواع

تشارلز داروين

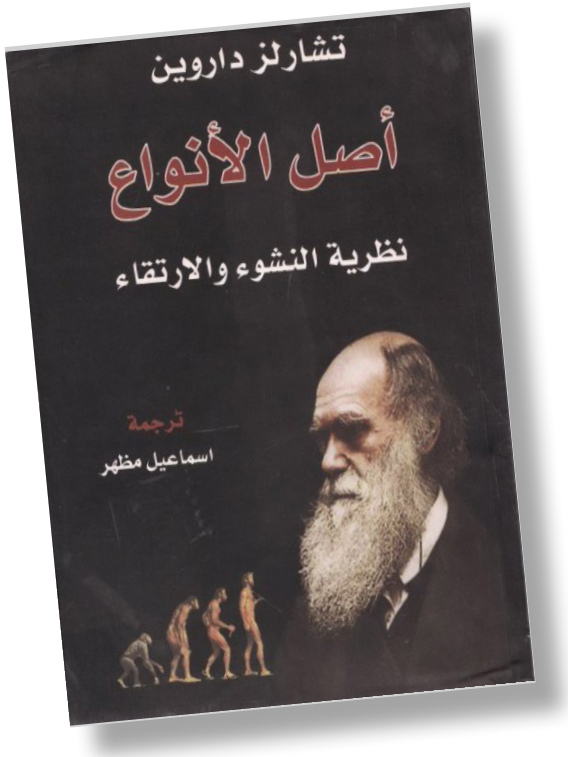

ورغم أن هذا التلخيص الذي هو في غاية الضغط، سيجحف في حق الكتاب أيما إجحاف، ولكنه قد يضع القارئ في الطريق الصحيح لتفهم مبادئ عمل الانتقاء الطبيعي، ومن ناحية أخرى أنا غاية أملي أن يكون هذا العمل مشجع لقراءة الكتاب.

سأقوم بتقسيم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول سألخص فيه الفصول الستة الأولى، والقسم الثاني سألخص فيه الفصول التالية، والآن إلى الجزء الأول من التلخيص

الفصل الأول: التمايز تحت تأثير التدجين:

التدجين هو مقدرة الإنسان على أن يحور كائنات حية نباتية أو حيوانية من أجل منفعته الخاصة، وقد استطاع الإنسان خلال عدد محدود من آلاف السنوات أن يقوم بتحوير عدد كبير من الصفات للحيوانات الداجنة لاستخدامه الشخصي، أما التمايز فهو الاختلافات الطفيفة الناتجة في الأنسال (الأجيال التالية) وهي مسألة مؤكدة في الكائنات، فكل كائن ينتج ذرية تكون أفراد هذه الذرية على درجة ما من الاختلاف عن بعضها البعض، وكل كائناتنا الداجنة لها قدرة كبيرة على التمايز، والعاملان المؤثران على التمايز هما طبيعة الكائن نفسه وطبيعة الظروف، وهناك نوع من أنواع التمايز يسمى التمايز المتلازم، وهو تمايز يحدث بنفس الطريقة في أكثر من عضو قد لا يكون بينها علاقة مباشرة، فالطبيعة تعطي تمايزات متعاقبة والإنسان يكدسها في منتوجاتنا الداجنة بما يسمى بالانتخاب الصناعي، والتمايزات تكون أكثر وضوحاً في الأعداد الكبيرة من نفس الضرب،

ومن السهل أن يلاحظ مربو الحيوانات أو النباتات تأثير الانتخاب الصناعي على المنتوجات، فحتى أن مربي نشط يمكن أن يرى خلال فترة حياته نقلة كبيرة في كائن تولاه بالرعاية وتوجيه أنساله، فالإنسان لا يستطيع أن ينتج تمايز، ولكن فقط يستطيع أن يراكم التمايزات التي تظهر على علاتها، فكل من فرس السباق وفرس جر الأثقال تم إنتاجهما عن طريق تكديس صفة السرعة للضرب الأول وتكديس صفة القوة للضرب الثاني.

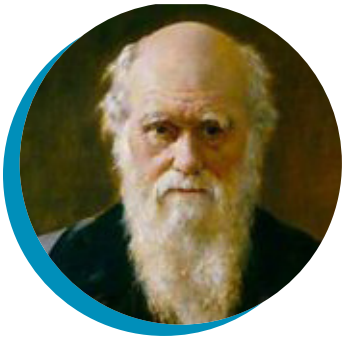

أصل الأنواع

تشارلز داروين

الفصل الثاني: التمايز تحت تأثير الطبيعة

الطفرة هي الانحراف الكبير في التركيب، وهو عموماً يكون ضاراً وغير مفيد، من المستحيل أن يكون هناك جزء أنت فجأة. ولكن الأجزاء تتكون من الاختلافات البسيطة التي تظهر على الذراري التابعة لنفس الأبوين، وهذه الاختلافات الفردية غالباً ما تكون موروثة. وهي بذلك تزود الانتخاب الطبيعي بالأدوات التي يعمل عليها، وعلى تكديسها، بنفس الطريقة التي يكدس بها الإنسان الاختلافات الفردية في منتجاتنا الداجنة، وهناك في الطبيعة أشكال تمتلك بدرجة جديرة بالاعتبار الطابع الخاص بالأنواع، ولكنها مماثلة بشكل قريب جداً إلى أشكال أخرى، أو هي مرتبطة بها عن طريق تدرجات بسيطة، هي في غاية الأهمية لفهم الانتخاب، وعند التحدث عن الأنواع نجد أن علماء طبيعة فسروا أنواع على أساس تصنيف ضروب لعلماء آخرين، بينما فسر علماء الضروب على أساس أنواع لعلماء آخرين، مما يدل على أن مصطلح نوع مجرد تعبير تجريدي لا فائدة له، يلمح إلى ويفترض فعلاً منفصلاً من أنواع الخلق، ومصطلح نوع تم إطلاقه بشكل اعتباطي وذلك ابتغاءً لراحة البال، ولا يوجد خط واضح للتفرقة بين الأنواع والأنواع الفرعية، وأنا أنظر إلى هذه الضروب على أنها خطوات في اتجاه ضروب أكثر تحديداً، وفي النهاية على أساس أنها ستؤدي إلى أنواع فرعية، ونجد أنه لكي تصبح الضروب دائمة (غير منقرضة) فإنها لا بد لها من أن تتصارع مع المقيمين الآخرين في الموطن، والأنواع المهيمنة هي التي ستكون صاحبة المقام الأول في إنتاج ذرية، وستكون الذرية وريثة للصفات التي مكنت آباءها من السيطرة.

الباب الثالث: التنازع من أجل البقاء:

بسبب التنازع من أجل البقاء، فإن التمايزات مهما تكن بسيطة، ومهما يكن سبب انبثاقها، وإذا كانت مفيدة إلى أي ردجة إلى أحد الأنواع، في علاقتها المعقدة مع الكائنات العضوية الأخرى ومع ظروفها الطبيعية في الحياة، سوف تميل إلى الاحتفاظ بمثل هذه الأفراد، وسوف تصبح بشكل عام متوارثة لدى الذراري، وهذه الذراري سيكون لديها فرصة أفضل للبقاء على قيد الحياة، ويسمى هذا التعريف بالانتقاء الطبيعي أو (البقاء للأصلح)

وجدير بالذكر أن مبدأ التنازع من أجل البقاء ليس محصوراً في افتراس كائن لآخر، ولكن يتضمن طرق كثيرة، مثل أن يتنازع كائنان نفس المورد الطبيعي، أو أن يتنازع كائن مع الطبيعة مثل تنازع نبات صحرواي مع الجفاف، أو يمكن أن يتم التنازع بين أفراد نفس النوع إذا كان عدد الذراري أكبر من المورد الغذائي المتوفر، وإذا استمر كائن في التناسل دون توقف، ودون أن يعاني أفراده تنازع من أجل البقاء فإنه في خلال عقود محدودة ستغطي ذريته حرفياً كل الأرض، وهذا يؤكد أهمية التنازع من أجل البقاء، ومن المؤكد أن كل كائن يعمل دائماً لزيادة عدد أفرادة بالتوالد، بينما النزاع يجعل هذه الأعداد تموت أغلبها قبل سن التزاوج.

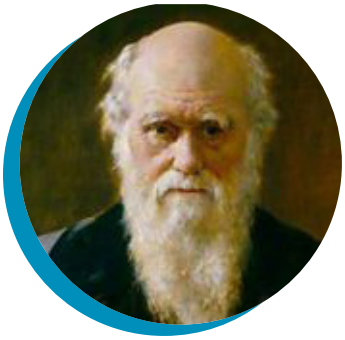

أصل الأنواع

تشارلز داروين

الباب الرابع: الانتقاء الطبيعي (البقاء للأصلح)

إذا وضعنا نصب أعيننا تأثير التنازع من أجل البقاء، والعدد اللا نهائي من التمايزات، ومدى التعقيد والتقارب الذي تتميز به العلاقات المتبادلة الخاصة بالكائنات العضوية، فيما بينها نفسها، وفيما بينها وبين الظروف الحياتية الطبيعية، وأن من بين هذه التمايزات بالضرورة تمايزات مفيدة حدثت لأفراد نوع من الأنواع، بوضع هذا نصب أعيننا، فإن الأفراد التي تكون لديها أي ميزة، مهما تكن بسيطة عن الأخرى، سوف يكون لديها أحسن فرصة للبقاء على قيد الحياة وعلى زيادة أنسال صنفها، ومن ناحية أخرى فإن أي تمايز مضر، سيتم تدميره بصرامة، وهذا الحفاظ على التمايزات المفيدة للبقاء، والقضاء على التمايزات المضرة، قد أطلق عليه اسم الانتقاء الطبيعي، ونجد أن كثير من الكتاب أخطئوا في تفسير مصطلح الانتقاء الطبيعي، وبعضهم وصل إلى أن تخيل أن الانتقاء الطبيعي يسبب التمايز، مع أنه لا يتضمن إلا الحفاظ على التمازيات كما تظهر، وكانت مفيدة للكائن تحت تأثير ظروف حياته، والفرق بين الانتخاب الصناعي والانتخاب الطبيعي، هو أن الإنسان يستطيع فقط أن يؤثر على الصفات الخارجية والمرئية، فلا يهمها شيء من الظاهر، إلا فيما يتعلق بكونها مفيدة لأي كائن، وهي تستطيع التأثير على عضو داخلي، وعلى كل ظل من الاختلاف البدني، وعلى مجمل آليات الحياة، والإنسان ينتقي فقط لما في مصلحته، أما الطبيعة فتنتقي لما في مصلحة الكائن، والإنسان لا يدمر منتجاته الرديئة، وبذلك يمكن أن نقول أن الانتخاب الطبيعي يعمل بفاعلية أكبر من الانتخاب الصناعي، وفي الوقت التي تزداد فيها الأعداد للأشكال المفضلة للبقاء

يتبع ذلك عادة أن تقل الأعداد غير المفضلة، وقلة العدد هو نذير بالانقراض، وإذا أنتج نواع كمية كافية من الذراري في منطقة واسعة، فإن هذه الذراري ستنتشر وستكتسب طباع مختلفة، فمنهم من سيحصل على غذائه من مسطح مائي ومنهم من سيحاول تسلق شجرة، ومنهم ومن يحاول أن يطارد فريسته، والطبيعة ستكدس الطابع المفضل في الذراري اللاحقة، وهذا ما يسمى بتشعب الطابع، وهناك نوع آخر من أنواع الانتخاب يسمى بالانتقاء الجنسي هو انتقاء لا يحدث بسبب التنازع من أجل البقاء، بينما يحدث بسبب التنازع بين الأفراد التابعين لشق جنسي واحد، من أجل الاستحواذ على الشق الجنسي الآخر، والنتيجة ليست الموت بالنسبة للمنافس الذي يفشل، ولكنها تنحصر في إنجاب القليل من الذراري، أو عدم الإنجاب، وفي الوقت التي تزداد فيها الأعداد للأشكال المفضلة للبقاء، يتبع ذلك عادة أن تقل الأعداد غير المفضلة، وقلة العدد هو نذير بالانقراض.

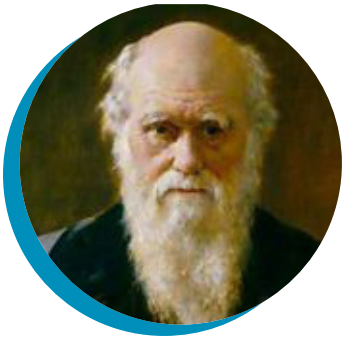

كتاب قراءة في

أصل الأنواع

تشارلز داروين

غريغور مندل

الباب الخامس: قوانين التمايز:

جدير بالذكر أن العالم تشارلز داروين فشل في أن يضع قوانين واضحة تفسر التمايز وأسبابه، ولكن هناك عالم اسمه غريغور يوهان مندل، ونشرت نتائج بحوث مندل وخلاصة تجاربه في علوم الوراثة عام 1860م ومن السخرية أن أحداً لم يتنبه لها بسبب اهتمام العلماء بنظرية دارون في حينها إلى أن عثر علماء على التقرير عام 1900م وهنا عرف فضل أبحاثه على علم الوراثة، ونذكر أيضاً أن فشل دراوين في أن يضع قوانين ثابتة للتمايز ليس له علاقة بلب النظرية، فالتمايز يحدث ويقدم الأدوات للانتخاب الطبيعي، سواء أكان دراوين وضع له قوانين أو لم يضع له، ولقد كانت ملاحظات داروين دقيقة تماماً فيما يتعلق بالتمايز، ولكن لم يستطع أن يرسم نمط محدد لطبيعة الملاحظات التي قدمها في هذا الفصل، أو للأسباب التي أدت لهذا التمايز، ونجد أن الموضوعات التي تمت دراستها في هذا الفصل هي: تأثير الاستخدام وعدم الاستخدام – التأقلم – التمايز المتلازم – التعويض ونظام النمو،

وقوانين التمايز التي لخصها داروين هي:

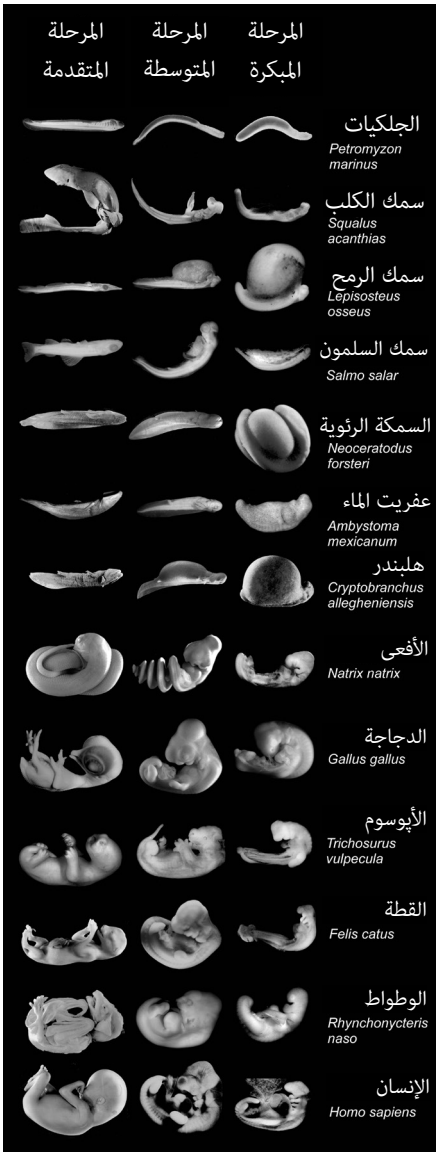

1. التراكيب المتعددة والأثرية غير المكتملة، والمتواضعة التعضية تكون قابلة للتمايز.
2. الجزء الذي يظهر في أي نوع بأي درجة أو طريقة استثنائية بالمقارنة مع الجزء نفسه الموجود في نوع متقارب يميل إلى أن يكون شديد القابلية للتمايز.
3. الصفات النوعية تكون أكثر تمايزاً من الصفات العرقية.
4. الصفات الجنسية الثانوية قابلة للتمايز.
5. الأنواع المتباينة تظهر فيها تمايزات متماثلة إلى درجة أنه كثير ما يتخذ أحد الضروب التابعة لأحد الأنواع طابعاً خاصاً بنوع يمت له بصلة قربى أو أن يرتد إلى بعض الخاصة بأحد الأسلاف الأبوية المبكرة.

يختم الفصل بأنه يؤكد أن الجهل بقوانين التمايز جهل عميق، ولكن هذا لا علاقة له بقوة النظرية، فالمهم أن التمايز يحدث، ويقدم الأدوات اللازمة للانتخاب الطبيعي ليعمل عليها.

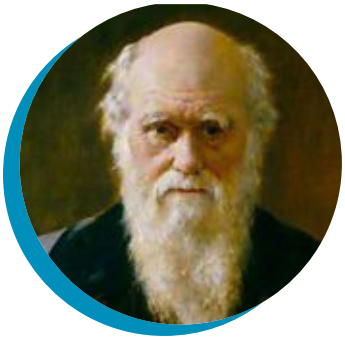

الباب السادس: الصعوبات الخاصة بالنظرية:

أفرد داروين هذا الباب للصعوبات الخاصة بالنظرية، وقد رد على اثنين منها في هذا الفصل وعلى البقية في الفصل التالي، والصعوبات هي:

1. إذا كانت الأنواع قد نشأت وانحدرت من أنواع أخرى، عن طريق تدرجات دقيقة، فلماذا لا نستطيع أن نرى في كل مكان عدداً لا حصر له من الأشكال الانتقالية:

بما أن الانتقاء الطبيعي يعمل بشكل كلي عن طريق الاحتفاظ بالتعديلات المفيدة، فإن كل شكل جديد سوف يميل في أي قطر مكتظ إلى آخره إلى أن يأخذ مكاناً، وفي النهاية إلى أن يبيد الشكل الأبوي الخاص به، والذي هو أقل تحسناً، والأشكال الأخرى الأقل منه في الأفضلية، وبالتالي فإن الإبادة والانتقاء الطبيعي يمضيان متعاونان يداً بيد، ومن ثم إذا نظرنا إلى كل نوع على أنه قد انحدر من أحد الأشكال غير المعروفة، فإن كل من الضروب الأبوية والانتقالية سيكونان عادة قد تمت إبادتهما بنفس العملية التي يجري بها التكوين والوصول بالشكل الجديد إلى الكمال.

2. هل نستطيع أن نصدق أن الانتخاب الطبيعي يمكنه أن ينتج من أحد الجوانب عضواً ذا أهمية تافهة مثل الذيل بالزرافة الذي يستخدم كمضرب للذباب، وعلى الجانب الآخر عضو في غاية الروعة مثل العين:

إذا كان من الممكن إظهار وجود تدرجات عديدة من عين بسيطة وفي حالة منقوصة إلى عين معقدة وبالغة إلى حد الكمال، وأن كل درجة من هذه الدرجات كانت مفيدة لمالكها، فمن الممكن بالتالي أن تكوين عين كاملة ومعقدة عن طريق الانتقاء الطبيعي، ومن الصعب أن ننظر إلى الجدود المباشرين لنوع لنرى التدرج في عضو معين، ولكن يمكن أن ننظر إلى الأنواع والطبقات الأخرى التابعين لنفس المجموعة، وذلك يعني النظر إلى الذراري المنحدرة بشكل غير مباشر من نفس الشكل الأبوي وذلك من أجل رؤية ما التدرجات التي كانت ممكنة، ويذكر الكاتب تدرجات طبيعية لنظم بصرية تبدأ من مجرد عصب جلدي يستشعر عتمة الضوء في الكائنات البحرية، إلى أكثير العيون دقة وكمالاً.

3. هل من الممكن أن تكتسب الغرائز وأن تتعدل من خلال الانتقاء الطبيعي؟ وماذا يمكن أن نقول على غريزة مثل الغريزة التي تقود النحل إلى أن يصنع خلايا، وهي التي قد سبقت بالفعل علماء الرياضيات عميقي التفكير. (الإجابة في الفصل السابع)

4. كيف يمكن أن نفسر الأنواع التي تكون عقيمة وتنتج ذرية عقيمة، بينما عندما تتهاجن الضروب خصوبتها لا تختل. (الإجابة في الفصل السابع).

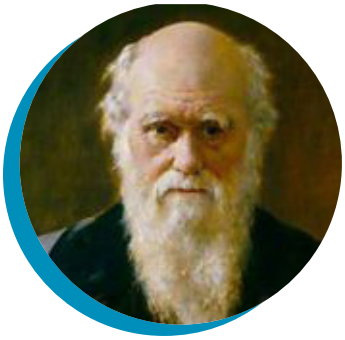

5. الكائنات تم خلقها بشكل جميل لإبهاج الإنسان والتفكر في الخلق:

من الواضح أن الإحساس بالجمال يعتمد على الطبيعة الخاصة بالعقل، بغض النظر عن أي جودة حقيقية موجودة في الشيء المثير للإعجاب، وإن الفكرة المتكونة عما هو جميل ليست غير قابلة للتعديل. ومن ناحية أخرى إذا كانت الأشياء الجميلة قد تم خلقها لإبهاج الإنسان، فإنه يتحتم قبل ظهور الإنسان كان يوجد جمال أقل على سطح الأرض، من الموجود من منذ أن تم ظهوره على خشبة المسرح، رغم أن هناك كائنات منقرضة في غاية الجمال تم اكتشاف متحجرات لها.

الفصل السابع: اعتراضات مختلفة على نظرية التطور:

يقول تشارلز داروين في مقدمة هذا الفصل: من العبث أن نخضع جميع الاعتراضات إلى المناقشة، وذلك لأن الكثير منها أقيم بواسطة كتاب لم يكلفوا أنفسهم مشقة فهم الموضوع.

وأنا أقول أن هذا الباب من الصعب تلخيصه، لأنه كله في غاية الأهمية، وفيه إجابات لكثير من الأسئلة التي تدور بخلد المعترضين على النظرية، وأنا أنصح الجميع بأن يقرأ هذا الباب من الكتاب مباشرة، لأن نقله إلى هذا الملخص يعني أن هذا الملخص لن يخدم غرضه وهو تبسيط الكتاب لجعله المبادئ الأساسية يمكن قراءتها.

من نحن؟
نحن مجموعه من مسلمين سابقين ومسلمين بدرجات متفاوته من التدين.
ماذا نريد؟
نريد أن نجد الحقيقة، مهما كانت، و أن نحارب من أجل حقنا في اتباعها،
نريد أن نخلق مكانا آمنًا للناس ليتبادلوا فيه الأفكار التي تعلمنا ألا نتحدث عنها،
نريد أن نساند بعضنا ونساعد بعضنا على مواجهة أسئلة الأهل والمجتمع، وتكوين إجابات لها،
نريد أن نعطي اللادينيين (سواء ملحدين، ربوبيين أو غيرهم) في البلاد الإسلامية صوتًا لأنهم سيقتلون إذا علت أصواتهم.

muslimish | مسلمش
www.muslimish.com

مسلمو أمريكا الشمالية السابقون

Ex-Muslims of North America

NO BIGOTRY, NO APOLOGY

دون تعصبٍ أعمى، او تبريراتٍ واهية

نبني جماعات داعمة
Building Communities

ننشر القيم العلمانية
Promoting Secular Values

نعمل على تخفيف عواقب الردة
Mitigating Costs of Apostasy

نسعى لتطبيع الانشقاق الديني
Normalizing Religious Dissent

facebook.com/exmna
@exmuslimsofna
exmna.org
theexmuslim.com

EXMNA

Karrar Al Asfoor

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

لماذا القتلُ خطأ؟ كيف يمكنك تخطئةُ ستالين من خلال الإلحاد؟ من أين يستمدّ الملحد أخلاقه؟

ما هو معيار الملحد للصواب والخطأ؟ هذه الأسئلة وغيرها كثيرًا ما تواجه الملحدين في حواراتهم مع المؤمنين، ولأني وجدّت قصورًا في أجوبة الملحدين وعدم فهمٍ لواقع تلك الأسئلة قررت أن أكتب هذا المقال لعلّه ينفع أحدهم.

Karrar Al Asfoor

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

في البداية علينا أن نعرف ما الذي يقصده المؤمن من أسئلته تلك وماذا يريد أن يقول، فالمؤمن لا يقصد أنّ الملحد هو شخصٌ لا أخلاقيٌّ وإنما يتفق معنا في أنّ كثيرًا من الملحدين هم أناسٌ أخلاقيون، لكنّه يقول أنّ تلك الأخلاق ليس لها علاقةٌ بالإلحاد، وإنّما هي مستمدةٌ من القيم الأخلاقية الدينية المطلقة، بمعنى آخر إننا نقول أنّ القتل خطأ، ولكن ما هو المعيار الذي احتكمنا إليه في ذلك؟ طالما أنّ الأخلاق هي أمورٌ نسبيةٌ وتختلف من شخصٍ لآخر ومن ثقافةٍ لأخرى، فالبعض يرى أنّ السرقة والقتل خطأً والبعض الآخر يراها أمرًا صائبًا، بعضُهم يرى أنّ ممارسة الجنس خارج إطار الزواج هو أمرٌ أخلاقي وبعضهم الآخر يراه لا أخلاقيًا، فما هو المعيار الذي نعتمده لتخطئة الجرائم؟ وإن لم يكن هناك معيارٌ لذلك، فستالين إذًا قام بالأمر الصائب، وبذلك يستطيع أيُّ شخصٍ ارتكاب أيّ جريمةٍ بدون وجود معيارٍ يقوم بتخطئته لأنها أمرٌ أخلاقيٌّ صائب (من وجهة نظره)، فبالنهاية معياره هو رأيه الشخصي.

وهنا سيقوم المؤمن بتمرير النظرية الدينية للأخلاق، والتي تقول طالما أنّ البشر مختلفون في تحديد الصواب والخطأ وطالما أنّ معاييرهم ناقصةٌ وتحتمل الخطأ، إذًا لا بدّ لنا من الاحتكام لمعيارٍ كاملٍ يُحدّد لنا الصواب والخطأ، والمعيار الكامل هنا هو الله وتشريعاته وهي)الكتالوج(المستخدم لتحديد الصواب من الخطأ.

سأشرح نظرية المعيار الكامل أكثر عبر هذا المثال: لنفترض أن هناك شخصين اختلفا على طول قطعةٍ خشبية، فأحدهم يقول إن طولها عشرة سنتمتراتٍ والآخر يقول إن طولها اثنا عشر سنتمترًا.
فما هو المعيار هنا لتحديد الصح من الخطأ؟ بالطبع سنأتي بمسطرةٍ ونقيس الطول، والمسطرة هنا هي المعيار الكامل (المعيار الدقيق) لأن البشر المختلفين معيارهم ناقص. فالرأي الشخصي والعقل البشري ليسا بتلك الدقة ويحتملان الخطأ والصواب.

ومن هنا يستطيع المؤمن أن ينسف أي نقدٍ لتشريعات الدين، فمثلًا الملحد ينتقد حد الردة والعبودية في الإسلام ولكن وفق أي معيارٍ ينتقدهما؟ لماذا الملحد يعتبرهما خطأين؟ كيف يقنع المؤمن أنهما أمران لا أخلاقيان؟

Karrar Al Asfoor

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

فحد الردة تشريعٌ من معيارٍ كامل (معيارٌ دقيق) ولذلك هي أمرٌ أخلاقيٌّ بالنسبة للمؤمن، لأن الصح هو ما يشرّعه الله، بينما الملحد ينتقد حد الردة على أنه أمرٌ لا أخلاقيٌّ وهذا رأيٌ من وجهة نظر الملحد، والملحد يتفق مع المؤمن بأن الآراء الشخصية نسبية، أي بمعنىً يتفق معه على أن معيار (عقل البشر) هو معيارٌ ناقصٌ ولذلك فإن رأيه قد يحتمل الخطأ والصواب، وطالما كذلك، فلماذا ينتقد تشريعات الدين أخلاقيًا إن لم يكن لديه معيارٌ يثبت من خلاله خطأها؟

نظرية الأخلاقية الدينية ليست الوحيدة:

في البداية وقبل أن نقوم بنسف النظرية الدينية للأخلاق يجب أن نقدم نظريةً بديلةً، فبدون تقديم البديل سنبقى ندور في حلقةٍ مفرغة، ولا زال الملحد مطالبًا بتخطئة ستالين وتخطئة محمدٍ وتخطئة الإسلام وفق معيارٍ معيّنٍ للصح والخطأ. ولذلك سألخّص النظريتين الأخلاقيتين في شكل نقاطٍ مع العلم بأنه توجد بدائل أخرى كالبراغماتية:

1- النظرية الدينية وتسمى (نظرية الأمر الإلهي):

وهذه النظرية ملخصها يقول: بما أننا نحن البشر لا نتمتع بصفات الكمال، إذًا عقولنا ناقصةٌ ومعاييرنا نسبيةٌ ولذلك سنحتاج لمعيارٍ كامل (أو دقيق) لكي نحدّد وفقه الصح من الخطأ. فما يشرّعه الله هو الأخلاقي وما يحرمه الله هو غير الأخلاقي.

طبعاً هو فعل أخلاقي لأن الله هو من أمر به!

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

2- النظرية الإنسانية وتسمى (النظرية النفعية):

وهذه النظرية تقول إن جميع البشر بل إن جميع الكائنات الحيّة التي تمتلك جهازًا عصبيًا متطورًا هي في الحقيقة تبحث عن السعادة وترفض الألم والمعاناة ولذلك فإن الأمر الأخلاقي هو تسبب بعضها لبعضٍ بالسعادة، والأمر غير الأخلاقي هو تسبب بعضها لبعضٍ بالألم والمعاناة.

أي أن الأخلاق هي انعكاسٌ لما ترغب به لنفسك ونستطيع اختصارها في هذه القاعدة (عامل الناس كما تحب أن يعاملوك)، وسآتي لشرح المعيار المنطقي في تخطئة المجرمين حسب هذه النظرية لاحقًا.

نسف النظرية الدينية:

في الحقيقة، إن النظرية الدينية تواجه معضلةً حقيقيةً من حيث أنها غير قابلةٍ للتطبيق، وهي فاسدةٌ في أصلها وتعتمد على معيارٍ ناقصٍ بخلاف ما تدّعيه.

فمثلًا كيف سنحدّد المعيار الكامل؟

بمعنى أنه توجد حول العالم آلهةٌ متعددةٌ وأديانٌ متعددةٌ وبطبيعة الحال كل دينٍ يقول إنه هو الدين الصحيح ويقول إن الرب الذي يعبده هو الصحيح ويقول إن باقي الأديان مزيفة (خطأ).

فما هو المعيار الذي من خلاله سنحكم على أن هذا الدين صحيحٌ وهذا الرب حقيقيٌ وليس مزيّفًا؟

وربما يرد المؤمن (المسلم خصوصًا) بردودٍ جدليةٍ كأن يقول: إنه لا توجد آلهةٌ متعددةٌ وإنما يوجد إلهٌ واحدٌ ودينٌ واحدٌ وباقي الآلهة هي تصوراتٌ خاطئةٌ عن هذا الإله، وباقي الأديان هي أديانٌ محرّفةٌ عن الدين الحق (الإسلام).

هشر سجدل
مجموعة حوارية إجتماعية
مجموعة على الفيسبوك

Karrar Al Asfoor

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

وهنا نفس الشيء ونفس السؤال لا زال مطروحًا، كيف نحدّد التصور الصحيح لله من بين كل هذه التصورات الخاطئة وكيف نحدد الدين الصحيح من بين كل هذه الأديان المحرّفة، وكيف نعرف الصفات الحقيقية لله بدلًا من الصفات المنسوبة له زورًا؟

هل الخالق الكامل المعايير هو كريشنا أم الله؟ وهذا الأمر يتبعه اختلافٌ في التشريعات، فهل شرب الخمر أخلاقيٌّ أم لا؟ وهل العبودية أمرٌ أخلاقيٌّ أم لا؟

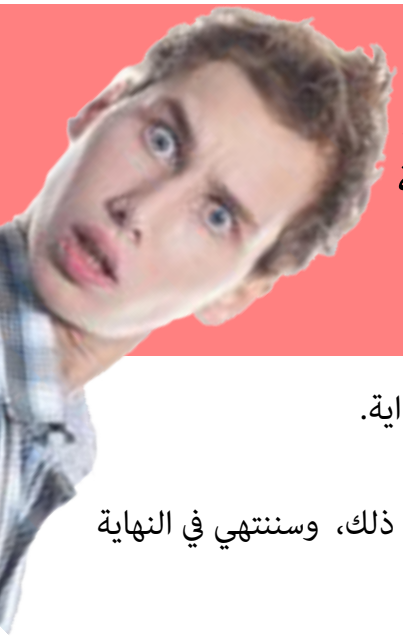

الإجابة الوحيدة التي يمتلكها المؤمن هي أننا نميز الإله الحقيقي من المزيف من خلال العقل، وهنا قام المؤمن بنسف نظرية المعيار الكامل برمتها، فالعقل معيارٌ ناقصٌ ونسبيٌّ ويحتمل الخطأ والصواب، والمؤمن أساسًا لهذا السبب رفض مناقشة الأخلاق بالعقل فكيف يريد في أصل النظرية أن يستعمل العقل (المعيار الناقص) لتحديد الصح من الخطأ؟

مهما حاول المؤمن إيجاد حلٍّ لهذه المعضلة فإنه سينتهي لمعيارٍ ناقصٍ وهو قد رفضه في البداية.

إذن نظرية المعيار الكامل فاسدةٌ في أصلها لأننا لن نستطيع الاحتكام لمعيارٍ كاملٍ مهما حاولنا ذلك، وسننتهي في النهاية إلى العقل، والعقل معيارٌ نسبي.

قد يردّ المؤمن بمغالطةٍ منطقيةٍ وهي تحديد الكامل من خلال الكامل، فالله يقول إنه الحكيم، إذن هو الخالق ونفس الشيء هنا، فجميع الآلهة تدعي صفات الكمال والاحتكام لادعاءات أحدهم ستنتهي بنسب صفات الكمال له، وهذه تعتبر مغالطة المنطق الدائري circular reasoning fallacy، لأنه أساسًا محل النقاش ومحل الاختلاف هو في تمييز الإله المزيف من الحقيقي وتمييز صحة ادعاءات هذا الإله من عدمها.

بالنهاية المؤمن بين خيارين أحلاهما مر، فإما أنه يقع في مغالطةٍ منطقيةٍ وأما أنه ينسف نظرية المعيار الكامل بنفسه.

Karrar Al Asfoor

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

نظرية المعيار الكامل كارثةٌ أخلاقيةٌ تواجه البشرية:

فداعش يعتمدون على نظرية المعيار الكامل وحسب هذه النظرية فإنهم على المسار الصحيح. كل ما فعلوه أنهم اتبعوا هذه الخطوات:

1- توصلوا من خلال معيارهم النسبي والناقص (عقولهم) إلى أن الخالق هو إله ابن تيمية واعتبروه معيارًا كاملًا.

2- اعتبروا تشريعاته حقائق أخلاقيةً مطلقةً قادمةً من معيارٍ كاملٍ ولذلك يتوجب ابعادها عن النقاش العقلي (النسبي والناقص).

3- مبروك أصبح قتل الناس واستعبادهم واغتصابهم أمورًا أخلاقيةً لأن المقياس كاملٌ هنا ونحن لا نعرف الصح من الخطأ.

إذن النظرية الدينية للأخلاق تدعو لتعطيل العقل في الأخلاق ولكنها لا ترى مشكلةً في استخدام العقل لاختيار أصل الأخلاق، وهذه قد تؤدي إلى كوارث أخلاقية،
فمثلًا أستطيع الادعاء بأنني نبيٌّ مرسلٌ من وحش السماء (الذي عندي أدلةٌ عقليةٌ على أنه المعيار الكامل)
ثم أقوم بتشريع إبادة المسلمين والهندوس والمكسيكيين وذوي الاحتياجات الخاصة ولا أحد يستطيع لومي لأنني احتكم للمعيار الكامل هنا، وهم يريدون تحكيم عقولهم الناقصة وانتقاد هذه التشريعات.

البديل الإنساني:

كما تلاحظون فإنه لم يتبقَّ لنا إلا البدائل الإنسانية التي تعتمد على وضع المعايير من خلال العقل، وهنا سنأخذ النظرية النفعية للأخلاق كمثال، وكما أسلفنا في البداية فإن كل البشر هم باحثون عن السعادة ورافضون للألم والمعاناة حسب هذه النظرية، واستخلصنا منها قاعدةً أخلاقيةً تقول (عامل الناس كما تحب أن يعاملوك) والآن سنأتي للتطبيق المنطقي لهذه النظرية.

Karrar Al Asfoor

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

فمثلًا لو أنك قتلت أحدًا ما فأنت تقع في مغالطةٍ منطقيةٍ تسمى مغالطة المرافعة الخاصة special pleading fallacy لأنك تتعامل مع قضيتين متشابهتين بمعيارين مختلفين، فأنت لا تريد أن تتعرض للقتل (لأنك باحثٌ عن السعادة ورافضٌ للألم) .. ولكنك لا تمانع من تعرض شخصٍ آخر للقتل (بالرغم من أنه مثلك باحثٌ عن السعادة ورافضٌ للألم)، فالقضيتان هنا كلتاهما قتل إنسانٍ وأنت تعاملت معهما بمعيارين مختلفين، ومن خلال هذا المعيار نستطيع تخطئة هتلر وستالين ومحمدٍ والخضر والله وغيرهم من السفاحين والمجرمين.

الشعب بيشتمني عشان بقتّل بيه!
أيه الوقاحة دي!؟

مثلًا، إن ستالين بالتأكيد لا يرغب بأن يتعرض للقتل، فبقتله للآخرين هو يقع في المغالطة المنطقية المذكورة آنفا، وحتى لو كانت لديه تبريراتٌ أخرى مثلًا مستوى الذكاء، فيقول إن الناس الأقل ذكاءً يجب أن يبادوا لأنهم عالةٌ على البشرية. طيب، هل كان سيرضى الأمر لنفسه لو أن شخصًا آخر تحجج بأن ستالين أقل ذكاءً ويجب أن يباد؟

بالطبع لن يرضى! ولذلك فلا زالت المغالطة قائمةً لأن المبررات المذكورة ليست معيارًا مطلقًا لكل الحالات، وإنما يراد استخدامها في حالاتٍ محددةٍ ولا زالت هذه المبررات لا تغيّر من حقيقة أن الشخص الآخر هو باحثٌ عن السعادة ورافضٌ للألم.

هل حد الردة أمرٌ أخلاقي؟ هنا أسأل هذا السؤال: ماذا لو أن بوذيًا يعيش في الصين وترك البوذية إلى الإسلام وتعرض للقتل، هل كان المسلمون سيرضون بهذا الحل؟ إذن ما دمت لا ترضاه لنفسك فكيف ترضاه للآخرين؟ أنت هنا أيها المسلم تقع في مغالطة المرافعة الخاصة special pleading fallacy.

إذن كما نلاحظ أن المعيار موجودٌ أصلًا في النظرية النفعية، والمعيار هو أنت نفسك وإجابتك على هذا السؤال (هل تحب أن يعاملك الناس بمثل هذه المعاملة التي تريد أن تعاملهم بها؟)

وهذه النظرية لو طُبِّقت عند جميع البشر بالفعل، سنتخلص من جميع أنواع الألم والمعاناة وسنحصل على السعادة.

Karrar Al Asfoor

سقوط نظرية الأخلاق الدينية

مشاكل النظرية النفعية بسيطةٌ مقارنةً بنظرية الأمر الإلهي:

كما أسلفنا سابقًا فإن النظرية الدينية تعاني من مشاكل قد تؤدي إلى ارتكاب شتى أنواع الجرائم الشنيعة تحت صبغةٍ شرعية، ولكن هنا سنناقش مشاكل النظرية النفعية ونرى هل يمكن أن تصل مشاكلها إلى ما وصلت إليه النظرية الدينية؟

في الحقيقة لا تزال هناك بعض المشاكل في النظرية النفعية، ولكن هذه المشاكل بسيطةٌ وتافهةٌ ولن تؤدّي إلى خلافٍ حقيقيٍّ حول الأمور المهمة، فمثلًا قد يكون الخلاف حول المزاح، هناك شخصٌ يرضى أن يقوم الآخرون بالمزاح معه ولذلك يقوم بالمزاح مع الناس، ولكن ليس جميع الناس يرضون بأن يمزح أحدٌ معهم وهنا أصبح خلافًا على قضيةٍ تافهة.

لكن ماذا عن القتل؟ بالطبع لا يوجد أحدٌ يرغب بأن يتعرض للقتل، وإن كان هناك شخصٌ هكذا فليباشر بالانتحار وبذلك يضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ فقد قام بقتل أحدهم وتعرض للقتل وكلاهما أمران صحيحان من وجهة نظره.
كما ترون لن تصل المشاكل للأمور المصيرية، لكنها مجرد خلافاتٍ في أمورٍ تافهةٍ مثل المزاح ومثل الأكل أمام إنسانٍ جائع.

الملخص:

تبدأ بنسف النظرية الدينية منطقيًا، ثم تبيّن مخاطر تطبيقها،
ثم تقوم بتطبيق النظرية النفعية لحل المشاكل التي لم تقم سابقتها بحلها.

للتوثيق

صفحة إخبارية
متعلقة بقضايا
الملحدين

بريشة رغد رستم

للتوثيق

أمجد عبد الرحمن

حربٌ طاحنةٌ يعيشها اليمن السعيد وقد دخلت عامها الثالث مثقلةً بالموتِ والدمارِ والقهر، حربٌ دوافعها سياسيةٌ لا يبرأ الدين منها، حربٌ لا تبدو لها نهاية، بل ربما كلمة «نهاية» قد تُرعب اليمنيين أكثر من الحرب نفسها، ووسط هذا الإبهام وتلك المآسي ارتأى بعض البلطجية المدفوعين بأيديولوجية الإسلام أنّ دينهم الحنيف في خَطر. فقد باتت كلماتٌ وآراءٌ تنتقد الجماعات الدينية المنتشرة أو تُناهض التكفير ورمي الوقود على نار الحرب، باتت تلك الكلمات تهديدًا مباشرًا لوجود تلك الجماعات، وتهديدًا للأمن والاستقرار والتقدم الذي ينعمون به كما يعتقدون، فتشكّلت عصاباتٌ مافياويةٌ تخصصت بمجابهة (حركات التنوير والعمل المجتمعي والثقافي)، كل ذلك وسط تجاهلٍ حكوميٍ كان بمثابة تصريحٍ لما يقومون به من تصفياتٍ لبعض النشطاء ممن يسعون لإشعال نور التحرر الفكري ليحل محل نار الحرب ويطفئها.

بدأوا قبل عامٍ بعد تقصٍ وملاحقاتٍ وبتغطيةٍ حكوميةٍ بالناشط الشاب عمر باطويل واليوم جاء دور صديقه أمجد عبد الرحمن طالب الحقوق بجامعة عدن ورئيس نادي الناصية الثقافي والمعروف بتعريته لما تقترفه العصابات ذات الأساس والأيديولوجيا الدينية المتفلتةً من القانون المتراخي. تمّت تصفية أمجد عبد الرحمن يوم 2017/5/15 بنفس الطريقة البشعة التي تتم بها تصفية ضحايا الإسلام منذ نشأته. لفظ أمجد عبد الرحمن أنفاسه الأخيرة في مقهى للإنترنت حيث كان متواجدًا حينها، وتم إعدامه بعدة أعيرةٍ ناريةٍ ومن ثمّ أجهزوا عليه عبر نحره والتمثيل بجسده، ولم تحضر الشرطة إلى المكان إلاّ بعد حوالي الساعتين ودون أن تقوم بعدها بأيّة إجراءاتٍ ملموسةٍ جدّية في سبيل تحقيق العدالة والقبض على القتلة بل على العكس تماما. فقد ثبت قيام بعض أفراد قوات الشرطة بتعطيل وصول جثمان الشهيد إلى داره وقاموا بالتحرش بالمعزين وتفريقهم، بل وتم اعتقال ثلاثة صحفيين كانوا حاضرين للعزاء وتم الإفراج عنهم لاحقا بعد أنباءٍ عن تعذيبهم بتهمة «الإلحاد» أو «حرية المعتقد». هذه الأحداث المؤلمة ستزيدنا قناعةً بأنّ الإسلام هو سبب بلائنا وتفشي الظلم والفوضى في مجتمعاتنا والراعي الرسمي لتخلّفنا ووقود حروبنا التي لا تنطفئ، تلك الجرائم والسلوكيات الجبانة تؤكد لنا وللعالم يومًا بعد يومٍ أنّ كلّ كلمةٍ قيلت في نقد ومجابهة الإسلام كانت أقلّ ما يستحقه، وأنّ السكاكين التي غُرست في أعناق فاضِحي هذا الدين ستكون هي من ستُجهز على هذه الأيديولوجيا.

أمجد عبد الرحمن، في زمن الكوليرا، لكم يحتاج اليمن لأمثالك.

الحمد لإحسان الناس

Usama al-Binni

مقال لدانيئيل دنت

تم نشر المقال على موقع

Edge.org بتاريخ

2006/2/11 تحت عنوان

!Thank Goodness.

ترجمه وقدم له أسامة البني

Usama al-Binni

الحمد لإحسان الناس

مقدمة المترجم:

كثيراً ما نسمع المسلمين يقدّمون استعمال بعض الملحدين لعبارات مثل «الحمد لله» أو «ما شاء الله» أو «إن شاء الله» كدليلٍ على إيمانٍ دفينٍ في نفس الملحد، متجاهلين أن هذه العبارات هي جزءٌ من الثقافة العربية التي يرضعها المرء مع حليب أمه.

لكن ماذا لو أمكن فهم العاطفة والمقصد اللذان ترتبط بهما هذه الجمل بشكلٍ يعكس إطار استعمالها والموقف التي وردت فيه؟ نرى بعض الملحدين مثلًا يحاولون استبدال بعض هذه التعابير بأخرى موازيةٍ تحافظ على الإطار العام والقالب اللغوي، لكنها تغيّر من المعنى. فمثلًا، صرنا نسمع البعض يقول «الحمد للطبيعة» أو «الحمد للعقل»، دلالةً على دور العقل كعاملٍ حقيقيٍّ في المواقف البشرية أو للطبيعة كقوّةٍ عارمةٍ مجردةٍ تؤثر على الجميع، بينما نرى بعضًا آخر يقول «الحمد لزيوس» أو «الحمد لزحل» كاستهزاءٍ بالحاجة إلى شكر كائنٍ وهميّ (بالإشارة هنا إلى كائنٍ يتفق الجميع اليوم على أنه وهمي) أو أنه لا يضرّ ولا ينفع، أو بقول بعضهم : «لا حلوى ولا قهوة إلا بالماء» كتحويرٍ ساخرٍ للحوقلة التي يعبّر فيها المسلم عن عجزه أمام إرادة الله.

المقال التالي كتبه أحد أهم الفلاسفة الملحدين اليوم، دانيئيل دنت Daniel Dennett بعد مروره بأزمةٍ صحيةٍ كادت تودي بحياته، والمقال يعالج مسألتين يعتبرهما بعض المؤمنين مآخذ على الملحد. الأولى استعمال بعض الملحدين للتعابير الدينية، والثانية هي مدى صدق الملحد في إلحاده. فأما التعبير الديني الذي يشير إليه المقال فهو التعبير الإنجليزي المُناظر لجملة «الحمد لله»: Thank God. والمقال يأخذ العاطفة التي تقبع وراء تلك التعابير الدينية ويضعها في سياقٍ بشريٍّ مجرّدٍ من الدين ويضفي عليها معنًى يستطيع رؤيته كلّ من الملحد والمؤمن المنفتح العقل على حدٍ سواء.

أما بصدد عنوان المقال نفسه، فلا بدّ هنا من مقدمةٍ لتأطيره. فمن المعروف أن الكتاب المقدس هو كتابٌ يجمع الأناجيل المسيحية مع مجموعةٍ من كتب اليهود التي يشير إليها المسيحيون بأسفار العهد القديم، وفي أولها أسفار موسى التي تحتوي الوصايا العشر، وهي إحدى بقايا تعاليم اليهود التي ظلت في المسيحية.

Usama al-Binni

الحمد لإحسان الناس

وقد جاءت الوصية الثانية (أو الثالثة) في سفر التثنية على النحو التالي:

«لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً» (تثنية 11: 5)،

أدت هذه الوصية باليهود والكثير من المسيحيين إلى تجنب ذكر اسم الإله صراحةً واستبداله بكلماتٍ أخرى. فنرى المسيحيين الناطقين بالإنجليزية قد استبدلوا تعبير «الشكر للرب» Thank God بقولهم Thank goodness والتي يمكن ترجمتها تقريبًا «الشكر للخير». والأمر هنا يختلف نوعيًا عن استبدال الملحد للعبارة الدينية بنظائر لادينية على النحو الذي أوضحناه في البداية، فالمقصود في حالة المسيحيين تجنب ذكر كلمة God والاستعاضة عنها بكلمة goodness والتي تعني الخير. وتشابُهُ تهجئة الكلمتين ليس صدفةً، فأصل كلمة good يرتبط بكلمة[1] "God" ولا عجب، فمصدر الخير في تصور المؤمن وتصور الكثير من الفلاسفة هو الله.

لكن الملحد لا يرى الأمر كذلك، فلو نظرنا إلى الطبيعة نفسها نرى أمورًا لا يمكن أن تتسق مع فكرة أن من يدير هذا الكون هو كائنٌ خيّرٌ يحب الخير، فدولاب الحظ قد يصيب بعضًا بالخير وبعضًا بالشر بشكلٍ عشوائي، ناهيك عن أن ما هو خيرٌ لطرفٍ ما قد يكون شرًا على حساب طرفٍ آخر.

ولو ابتعدنا عن الطبيعية ونظرنا إلى عالم البشر نرى أيضًا وجود ما يسميه الناس بالخير والشر. والمقال هنا هو شكرٌ للخير الذي في الناس، لطيبتهم، لإحسانهم. فقد يكون سوء الحظ أصاب دِنِتْ بمكروه، لكن طيبة الناس وحبهم للمساعدة وجهود أجيالٍ عديدةٍ من البشر مكّنه من المرور من محنته. وبعد أن عاد دِنِتْ من على شفير الموت كتب هذا المقال تعبيرًا عن امتنانه لمن ساعده ووقف إلى جانبه بشكلٍ شخصي مباشرٍ وبشكلٍ غير مباشر، فلا امتنان لربٍ وهمي ساعده (بعد أن أوقعه في المصيبة أصلًا) ولا توبة عن حياةٍ قضاها في الكفر، وإنما تأكيدٌ على موقفه الإلحادي وتفنيدٌ لموقف المؤمن الذي يأكله النفاق.

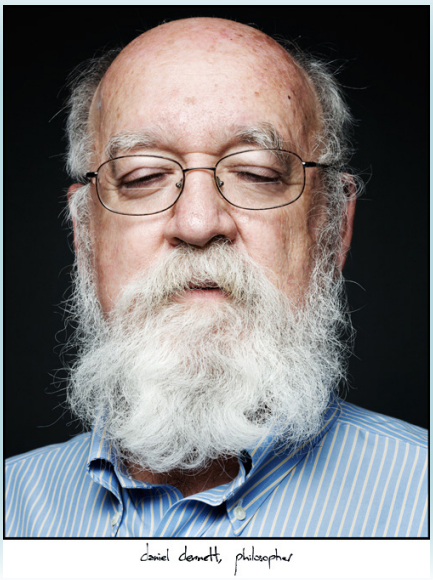

دانيئيل دِنِتْ Daniel C. Dennett هو أستاذ كرسي (أوستن فلتشر Austin B. Fletcher) في جامعة تَفْتس Tufts University الأمريكية وأحد مدراء مركز أبحاث الإدراك فيها Center for Cognitive Studies. له كتاباتٌ كثيرةٌ تبحث في الإدراك والدين وحرية الإرادة وتطور البشر. كتاباته تتراوح بين المقالات المنشورة في المجلّات المحكمة وأخرى في المجلّات الموجّهة للعامة، كما أنه نشر في تلك المواضيع وغيرها عددًا من الكتب إضافةً إلى نشاطه كمحاضرٍ في الكثير من المؤتمرات واللقاءات.

(1) انظر مثلًا قاموس أصول الكلمات etymonline.com.

الحمد لإحسان الناس

Usama al-Binni

والآن إليكم المقال.

توجد مقولةٌ قديمةٌ إشكاليةٌ تدّعي أن الخنادق تخلو من الملحدين [2]، وهنالك على الأقل بعض النوادر المتداولة التي فيها بعض الدعم لهذه المقولة عبر حالاتٍ ذاع صيتها لملحدين مشهورين احتضروا أو قاربوا على الموت ثم أعلنوا على الملأ أنهم عادوا عن إلحادهم. ومن أحدث الأمثلة على ذلك الفيلسوف البريطاني السير ألفرد جولز آير Sir A. J. Ayer والمتوفى عام 1989. والآن، إليكم نادرةٌ أخرى لتفكّروا بها.

قبل أسبوعين هُرِع بي في سيارة إسعافٍ إلى المستشفى، حيث قام الفريق الطبي من خلال صورةٍ طبقيةٍ بتشخيص تسلّخٍ في شرياني الأبهر Dissection of the aorta، تمزّقت فيه بطانة ذلك الشريان الرئيسي الذي ينقل الدم من قلبي إلى باقي الجسم فانفصل إلى وعائين بدل أن يكون وعاءً واحدًا. ومن حُسن حظّي أنني كنت قبل سبع سنواتٍ قد حصلتُ على طُعْمُ مَجازَة الشِّرْيانِ التَّاجي coronary artery bypass graft، والذي لا بد أنه أنقذ حياتي، ذلك أن النسيج الندبي الذي نما خلال تلك السنوات حول قلبي وكأنه نباتٌ عشبيٌ معترشٌ قد قوّى الشريان الأبهر وحال دون تمدد الانسلاخ الذي حصل فيه. وخضعتُ لعمليةٍ جراحيةٍ دامت تسع ساعات، تم خلالها إيقاف قلبي بالكامل وتبريد جسمي ودماغي إلى حرارة 45 درجة فهرنهايت (سبع درجات سلسيوس) بغية منع وقوع تلفٍ دماغيٍ بسبب انقطاع الأوكسيجين إلى أن

(2) بالإنجليزية: There are no atheists in foxholes، وذلك كناية عن تصورٍ شائعٍ بأن الملحد هو في أعماقه مؤمنٌ بالله، وأنه عند النوائب يلجأ إليه.

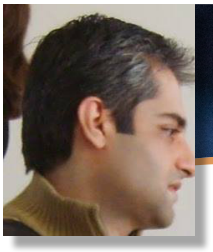

الحمد لإحسان الناس

Usama al-Binni

يتمكن الجراحون من بدء آلة القلب والرئة الاصطناعية. والآن بعد هذه العملية صار لدي شريانٌ أبهرٌ جديدٌ وقوس أبهرٍ جديدٍ Aortic arch مصنوعان من ألياف نسيج الداكرون الاصطناعية Dacron fabric قد خاطها الجراح على شكلٍ ملائمٍ خلال العملية ووصلها بقلبي بصمامٍ من ألياف الكربون بحيث صار يصدر صوت نقرةٍ صغيرةٍ تبعث على الطمأنينة مع كل دقةٍ من دقات قلبي.

والآن، بعد أن دخلت في مرحلةٍ من النقاهة، أرى أمامي أمورًا كثيرةً تدعو للتفكر والتأمل، أمورٌ تتعلق بالخبرة العصيبة التي مرت بي، وأخرى تتعلق برسائل الدعم التي وصلتني منذ أن ذاع خبر مغامرتي الأخيرة. وقد كان أصدقائي توّاقين ليسمعوا مني عمّا لو كنت قد مررت بخبرة الاقتراب من الموت (Near-Death Experience (NDE))، وعن التأثير الذي قد تكون تركته خبرةٌ كهذه على إلحادي المعلن.

السير ألفرد جولز آير

فهل اختبرتُ تجليًا للذات الإلهية؟

هل سأحذو حذو آير الذي استدرك رباطة جأشه بعد أيامٍ من خبرته إذ قال:

«كان يجب أن أقول إن ما اختبرته لم يضعف إيماني بعدم وجود حياةٍ بعد الموت، وإنما أحدث بعض اللين في موقفي من قناعتي بذلك الإيمان»،

أم لعل إلحادي بقي سالمًا غير منقوص؟

نعم، لقد رأيت تجليًا: فقد تجلّى لي بوضوحٍ غير مسبوقٍ في حياتي أنني عندما أقول:

«الحمد للإحسان!» Thank goodness،

فإن ذلك ليس مجرد تحويرٍ بديلٍ عن قول «الحمد لله! »،

فنحن معشر الملحدين لا نؤمن بوجود إلهٍ يستوجب الحمد. وإنما أنا أعني بحقٍ حمدًا لإحسان البشر! هنالك كمٌّ هائلٌ من الإحسان والخير والطيبة في هذا العالم، وهي أمورٌ تزداد يومًا بعد يوم، باتت تمثل بناءً رائعًا من الفضيلة ابتدعه الإنسان، وهو أمرٌ كان مسؤولًا بحقٍ عن حقيقة أنني اليوم لا أزال على قيد الحياة، فهو يستحق بجدارةٍ الامتنان الذي أشعر به الآن، وودتّ أن أقتنص هذه اللحظة وهذا الموضع لأحتفي بهذا الشعور.

الحمد لإحسان الناس

Usama al-Binni

فلمن أدين بالامتنان؟

لطبيب القلب الذي أبقاني حيًا على مدى سنوات، والذي رفض بسرعةٍ التشخيص الأولي الذي قال إنني كنت أعاني من نزلةٍ رئوية؟ أم للجراحين وأطباء الأعصاب والتخدير، أم لاختصاصي الإرواء الذي أبقى أجهزة جسمي تعمل في ظل ظروفٍ مخيفة؟ أم لعشرات مساعدي الأطباء والممرضات ومختصّي المعالجة الفيزيائية وفنيّي الأشعة السينية إضافةً لجيشٍ صغيرٍ من فنيّي سحب الدم، وكل من جلب لي وجبات الطعام ونظف غرفتي وقام بغسل أكوام الغسيل الذي ولّدتها حالتي، أم أولئك الذين دفعوني على كرسي العجلات إلى غرفة الأشعة السينية وغيرهم كُثُر؟ أولئك الناس الذين جاؤوا من أوغندا، من كينيا، من ليبيريا، من هايتي، من الفلبين، من كرواتيا، من روسيا، من الصين، من كوريا، من الهند، وطبعًا من الولايات المتحدة.

لقد شهدت فيما بينهم احترامًا متبادلًا لم أرَ مثيلًا له من قبل، كانوا خلاله يساعد بعضهم البعض، وبعضهم يتأكد من صحة عمل البعض الآخر. ولكن رغم هذا العمل الجماعي، ما كان لهذه الجماعة أن تتقن عملها بهذا الشكل لولا مساهماتٌ في الخلفية من أناسٍ آخرين. وهنا أذكر بالكثير من الامتنان صديقي الراحل وزميلي في جامعة تفتس، عالم الفيزياء آلن كورمك Allan Cormack الذي كان أحد الحائزين على جائزة نوبل لاختراعه آلة المسح الطبقي المحوسب CT scan-ner. لقد أَنقذْتَ حياةً أخرى يا آلن من بعد موتك، وليست تلك سوى حياة شخصٍ واحدٍ من بين أشخاص لا يُحصَون أنقذهم اختراعك هذا. الحمد للإحسان! أضف إلى ذلك كله نظامًا طبيًا بشقّيه العلمي والتقني، والذي لولاه لباءت كل النوايا الحسنة بالفشل تقريبًا.

آلن كورمك

لذا، أشعر بامتنانٍ تجاه أعضاء هيئات التحرير والحكام في الماضي والحاضر والمستقبل في مجلّات Science وNature ومجلّة الرابطة الطبية الأميركية Journal of the American Medical Association، ومجلّة Lancet، وكل المؤسسات العلمية والطبية التي لا تنفك تنتج تحسيناتٍ وتكتشف أخطاءً وتصححها.

هل أنا أعبد الطب؟ هل العلم ديني؟

أبدًا! فما من جانبٍ من جوانب الطب الحديث أو العلم معفيٌّ من التمحيص الصارم، بل وبمقدوري الآن تعداد مجموعةٍ من المشاكل الخطيرة التي لا زالت بحاجةٍ إلى الإصلاح فيه. وهذا سهل الإنجاز طبعًا، ذلك أن عالميّ الطب والعلم منخرطان في عملية تقييمٍ ذاتيٍ صارمةٍ لا مساومة فيها ولا مثيل لها في تاريخ البشر حتى الآن، وهم يقومون باطلاع العامة بانتظامٍ على مخرجات فحوصهم الذاتية هذه.

الحمد لإحسان الناس

Usama al-Binni

علاوةً على ذلك، فإن سر نجاح هذه المساعي البشرية يعود إلى هذا النقد العقلاني المفتوح، رغم نقائصه.
وهنالك تحسيناتٌ يمكن تمييزها وقياسها تحدث باستمرار، فلو تمزق شرياني الأبهر قبل عقدٍ من الزمن لما كان هنالك مجالٌ لإنقاذ حياتي، ومع أن عملية إصلاحه لم تتحول إلى إجراءٍ روتيني بعد، إلا أن فرص النجاة منها ليست سيئةً (إحصائيًا، يموت ما نسبته 33٪ من مرضى تمزق الأبهر في غضون الأربع والعشرين ساعةً الأولى منذ بدء التمزق لو لم تتم معالجته، والفرص تزداد سوءًا مع مرور كل ساعةٍ بعد ذلك).

ومما وجدته لافتًا للنظر عندما قارنت عالم الطب الذي باتت حياتي تعتمد عليه بالأفكار الدينية التي انكببتُ على دراستها في السنوات الأخيرة، حيث وجدت أن أحد الأفكار الأساسية التي تجمع كل الأديان (على حد علمي) هي فكرة أن النية هي المهمة، وأن أقصى ما هو مطلوبٌ منك كمؤمنٍ أن تكون نيتك طيبةً صافيةً وأن تحاول عمل الخير (بتطبيق أوامر الله بلغة الدين).

لكن الأمر ليس كذلك في الطب! فلو ارتكبت خطأً، لا سيما لو كنت قد أسأت الحكم، فإن نواياك الطيبة لن تفيدك قيد أنملة. كذلك نجد أن الدين يحتفي بمن يقوم بقفزاتٍ إيمانيةٍ ويتصرف بناءً عليها دون تمحيصٍ بالخيارات المطروحة، بينما نجد أمرًا كهذا يُعدّ من أخطر الذنوب التي يمكن اقترافها في الطب. فمثلًا، لو قام طبيبٌ بالسير وراء معتقداته الخاصة حول سبل معالجة مرضٍ شرياني، فأجرى -مدفوعًا بإيمانه بصحة هذه المعتقدات- تجارب على مرضًى بشر، فإنه سيلقى تقريعًا شديدًا، هذا إن لم يتم حرمانه من ممارسة الطب نهائيًا.

لكن هذا لا يعني خلو الأمر من الاستثناءات.
فهنالك روّادٌ متهوّرون يتم احتمال تعدياتهم، لا بل يتم تكريمهم أحيانًا لو كانوا محقين. لكن وجود هؤلاء يمثل استثناءاتٍ نادرةً لنموذج الباحث النظامي الذي يستثني البدائل عن نظريته بعنايةٍ شديدةٍ قبل أن يحاول تطبيقها. فالنوايا الحسنة والإلهام لا يكفيان هنا.

وبعبارةٍ أخرى، فقد يؤدي الدين غرضًا حميدًا بجعله للناس مرتاحين لمستوى الأخلاق الذي تطيقه أنفسهم، لكننا لا نجد أي دينٍ يصل في حساب أتباعه إلى معايير المسؤولية الأخلاقية السائدة في عالمي العلم والطب العلمانيين.

وهنا لا أتحدث عن هذه المعايير الصارمة بين ممن يتحكمون بمصائر وحياة الناس كالأطباء والجراحين وحسب، وإنما عن معايير تتطلب من

الحمد لإحسان الناس

Usama al-Binni

المرء ضميرًا حيًا تنطبق على فنيّي المختبر مثلما تنطبق على محضّري وجبات الطعام. فالعلم يضع كل ثقته في التطبيق المستمر للعقلانية والتقصي التجريبي، في الفحص وتكرار الفحص، وفي تعويد النفس على السؤال: «ماذا لو كنت مخطئًا؟»، أما اللجوء إلى الإيمان الأعمى أو الانتساب إلى جماعةٍ ما فهي أمورٌ لا يتم احتمالها مطلقًا.

تخيل مثلًا كيف سيُقابل عالمٌ إذا حاول أن يقول إن العلماء الآخرين لم يستطيعوا تكرار الحصول على نتائجه لأنهم يفتقدون للإيمان الذي يملكه من يعملون في مختبره! ولنعد الآن إلى نقطتي الأساسية، وهي أنني أُدين بحياتي اليوم للخير الكامن في هذا التراث العقلاني وللتقصي المفتوح الحر.

فكيف أردّ على أصدقائي المتدينين (نعم لدي عددٌ لا بأس به من الأصدقاء المتدينين) الذين امتلكوا الشجاعة الكافية ليعلموني أنهم كانوا يدعون الله من أجل سلامتي؟

أنا أسامحهم بكل سرور، فلا يوجد ما يُولّد الإحباط أكثر من إحساس المرء بالعجز عن تقديم مساعدةٍ مباشرةٍ لشخصٍ يحبه. أعترف أنني آسفٌ لعدم قدرتي على الدعاء (الصادق) لأصدقائي وأفراد عائلتي عند ضيقهم، فأنا أُقدِّر الدافع للدعاء، لكنني أدرك تمام الإدراك أن الدعاء لا فائدة منه.

فعند سماعي لما يقوله أصدقائي المتدينون أترجمه إلى نسخةٍ مناظرةٍ لما يقوله أصدقائي المتنورون: «لقد كنت أفكر بك، وأتمنى لك من كل قلبي أن تمرّ من هذه الأزمة بسلام».

طبعًا هذا التمني أيضًا غير مؤثرٍ على أرض الواقع، لكن عادةً ثمة رغبةٌ عارمةٌ تتملّك المرء ليتمنّى.

إن مجرد حقيقة أن أصدقائي وأحبابي قد فكروا بي بهذه الطريقة، وأنهم تجشّموا عناء إعلامي بذلك دون حاجةٍ لمضافاتٍ خارقةٍ لهو أفضل دواء. لقد استلمت رسائل كهذه من عائلتي ومن أصدقائي حول العالم، وكان لها بالغ الأثر علي، وأنا ممتنٌ لرفعها لمعنوياتي إلى الأعالي. وأنا لم أكن أمزح حين قلت إنني اضطررت لمسامحة أصدقائي الذين قالوا إنهم دعوا الله لأجلي، وكنت أمنع نفسي من الرد: «شكرًا، أُقدِّر لك ذلك، لكن هل قمت أيضًا بذبح عنزةٍ تقرّبًا لله»؟

إن شعوري تجاه ما يقولون يماثل ما سأشعر به لو قال لي أحدهم: «لقد دفعتُ مبلغًا لمشعوذٍ ليضع تعويذةً تبرئك من سقمك». كم سيكون ذلك مضيعةً لمالٍ كان يمكن أن ينفق على مشاريع مهمة! لا تتوقع مني أن أشعر بالعرفان أو حتى أن آبه بما تقوله. أنا أقدّر مشاعرك وسخاء روحك التي دفعتك لذلك، لكنني أتمنى لو أنك وجدت مصرفًا آخر لتعبر فيه عمّا جال في خاطرك.

الحمد لإحسان الناس

Usama al-Binni

أليس هذا بالغًا في القسوة؟ فما الضرر الذي سيقع على العالم لو أن هنالك من يتضرع لله بصدقٍ لأجلي؟ أنا أرى أنه ثمّة ضررٌ من هذا.

أولًا، لو أرادوا حقًا عمل شيءٍ مفيدٍ لكرّسوا الوقت والجهد الذي بذلوه في الدعاء في مشروعٍ يستطيعون فعلًا المساهمة في إنجازه.

ثانيًا، لدينا اليوم أدلةٌ قويةٌ على أن الدعاء للتوسط بهدف الشفاء لا ينفع، مثلًا، من خلال الدراسة التي أجراها بنسون Ben-son مؤخرًا من جامعة هارفرد Harvard وكل من يتجاهل هذا البحث [3] يستخف بشأن الاحترام للإحسان الذي أشكره هنا. فلو كنت تصر على إدامة أسطورة أن الدعاء ينفع، فأنت تدين لبقيتنا بتبريرٍ لموقفك في مواجهة الدليل العلمي. وفي انتظار تبريرك، سأعذر لك اتّباعك لتقاليدك؛ وأنا أدرك أن السير وراء التقاليد يولّد راحةً في النفس.

لكنني أريد منك أن تدرك أن ما تفعله هو في أحسن أحواله إشكاليٌّ من الناحية الأخلاقية. فلو أنك فكرّت يومًا في رفع دعوًى قضائيةٍ ضد طبيبٍ أساء ممارسة مهنته بارتكاب خطأٍ أثناء معالجتك، أو برفع دعوًى على شركة أدويةٍ لم تجرِ الفحوص اللازمة قبل بيعها لدواءٍ آذاك، فلا بد أن تقر بتقديرك الضمني للمعايير العالية التي يلتزم بها عالم الطب في أبحاثه، لكنك في الوقت ذاته تستمر في إشباع حاجتك لممارسة شيءٍ لا يُعرَف له أي مبررٍ عقلاني، وفوق كل هذا تعتبر أنك تقدم مساهمةً.

تخيل مدى حنقك لو ردت الشركة الدوائية على دعواك القضائية بعدم اكتراثٍ قائلةً: «لكننا تضرعنا لله بشدةٍ لنجاح هذا الدواء! ماذا تريد منا أكثر من ذلك؟».

إن أفضل ما هنالك هو شكر إحسان الناس بدلًا من شكر الله، هو أن هنالك الكثير من السبل لسداد دين المرء تجاه الإحسان، وذلك عبر الإحسان إلى أناسٍ آخرين. ويأتي الإحسان على عدة صورٍ لا تقتصر على المساهمة في الطب والعلم. فثمة خيرٌ مثلًا في موسيقى راندي نيومن Randy New-man والتي ما كانت لتوجد لولا كل آلات البيانو واستوديوهات التسجيل الرائعة، ناهيك عن كل الإسهامات الموسيقية لكل موسيقارٍ عظيمٍ من أمثال باخ Bach وڤاغنر Wagner مرورًا بسكوت جوپلن Scott Joplin وفرقة البيتلز Beatles. الشكر للماء النقي الذي يتم ضخه إلى البيوت وللطعام الذي على موائدنا.

(3) الإشارة هنا إلى المقال التالي:

Benson H. et al., Study of the Therapeutic Effects of Intercessory Prayer (STEP) in cardiac bypass patients: A multicenter randomized trial of uncer-tainty and certainty of receiving intercessory prayer, American Hear Journal, vol. 151, issue 4, April 2006, pp. 934-94.

Usama al-Binni

الحمد لإحسان الناس

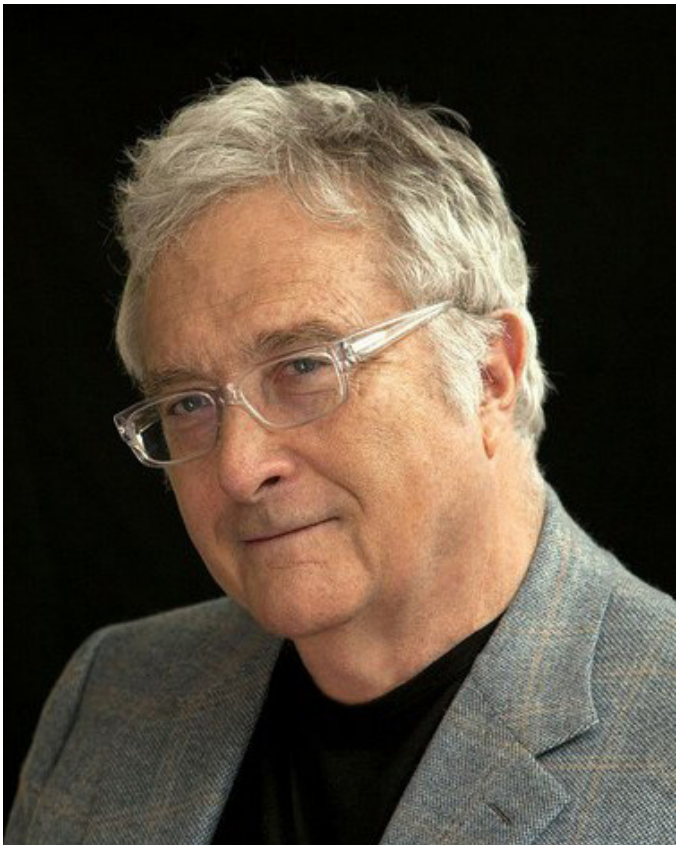

راندي نيومن

الشكر للخير المتأتي من وجود انتخاباتٍ نزيهةٍ وصحافةٍ صادقة. لو أردت التعبير عن امتنانك لهذه الخيرات يمكنك أن تزرع شجرةً، أو أن تطعم يتيمًا أو أن تشتري كتبًا لبنات المدارس في العالم الإسلامي أو أن تساهم من خلال آلاف السبل الأخرى لتحسين ظروف الحياة للغير على وجه هذا الكوكب في يومنا الحاضر، وفي المستقبل القريب.

والبديل عن ذلك هو أن تُقدِّم الشكر لله. إلا أن مجرد فكرة رد الجميل لله هي فكرةٌ سخيفة، فما الذي يمكن أن تقدمه للعليم الخبير القادر على كل شيء؟ علاوةً على ذلك، وبحسب التراث المسيحي، فإن الله اقتصّ دَينه مرةً وإلى الأبد بتضحيته بابنه، كيف لك أن تسد هذا الدين؟

أدرك أن علينا ألا نأخذ هذه الأمور بشكلٍ حرفيٍ وإنما بشكلٍ رمزي.
أقر بذلك، ولكن هذا يعني أن شكرك لله سيكون خيرًا رمزيًا كذلك. أنا أُفضِّل الخير الحقيقي على الخير الرمزي.

ورغم ذلك لا زلت أعذر من دعا الله لأجلي، أراهم وكأنهم علماء عنيدون يصرّون على رفض الأدلة التي تدعم النظريات التي لا يحبون، وذلك بعد مضيّ فترةٍ طويلةٍ كان يجب معها أن يتنازلوا برفقٍ عن موقفهم. أحيي فيكم ولاءكم لموقفكم، لكن تذكروا أن الولاء للتقاليد لا يكفي. فعليكم ألا تكفّوا عن سؤال أنفسكم: «ماذا لو كنا على خطأ؟».

وعلى المدى الطويل، أعتقد أن المتدين سيُجبر على الارتقاء إلى نفس المعايير الأخلاقية التي يتبعها العلمانيون في العلم والطب.

مجلة توثيقية علمية إلحادية

شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء

هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر

موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة الملحدين العرب

معاً نحو مستقبل منير

www.facebook.com/groups/arbangroup

www.facebook.com/A.A.MagazineOfficial

www.aamagazine.blogspot.com

في حوار مع ..

هشام آدم

آراء الضيوف تعبر عن أفكارهم ولا تمثل موقف المجلة بالضرورة

س1. نبدأ معك من الخاص إلى العام، لو سمحت لنا بالتعرف لشخصك عن قُربٍ أكثر. أسرتك والبيئة التي ترعرعت بها، وهل تلقيت تربيةً دينيةً؟ كيف كان تعاطي والديك مع تساؤلاتك حول الحياة منذ الصغر؟

ج1. اسمي بالكامل هو: هشام آدم محمّد آدم. سوداني الجنسيّة من مواليد القاهرة 1974. تلقيتُ تعليمي الأساسي (من المرحلة الابتدائيّة، وحتى المرحلة الثانويّة) في المملكة العربيّة السعوديّة، ثم التحقت بجامعة الخرطوم في العام 1993، وتخرّجت من كلية الآداب في العام 1998. بعد تخرجي عدتُ إلى المملكة العربيّة السعوديّة، وانخرطتُ في العمل المهني حتى أواخر العام 2010، حيث تم طردي من الأراضي السعوديّة، بقرارٍ من وزارة الداخليّة السعوديّة، بسبب مقالاتي في نقد الإسلام على موقع الحوار المتمدن، فانتقلتُ إلى مصر ثم إلى السودان، قبل أن ألجا أخيرًا إلى بلجيكا، حيث أقيم حاليًا منذ العام 2012. نشأت في أسرةٍ مكوّنةٍ من ثمانية أفراد، وترتيبي هو الثاني بين أخوتي. لا يمكن اعتبار أسرتي أسرةً مُتشددةً أو مُتدينةً بالمعنى الحرفي للكلمة، غير أنّ الدين يُشكل عاملًا أساسيًا في تكوينها، وتشكيل طريقة تفكيرها، وهو ما يُسمى بالإسلام الشعبي التقليدي. هذه الأسرة تنحدر من عائلةٍ معروفةٍ في منطقتنا باهتمامها بالدين، فأحد أسلافي يُشاع أنّه تمكن من ترويض الضباع، وامتطائها وتسخيرها، بفضل وَرَعه وتقواه، وجدّي لأبي كان إمام القرية وخطيبها، ووالدي شخصٌ مواظبٌ على العبادات، وكان يحرص على أن يأخذنا معه كل عامٍ إلى مكةَ لأداء العمرة في الإجازات السنويّة، ولكن الأسرة -رغم كل ذلك- ليست مُتشددةً على الإطلاق. كل ما يُمكن قوله عن علاقة أسرتي بالدين هو أنّها علاقة خوفٍ أكثر منها أي شيءٍ آخر: الخوف من الأسئلة، الخوف من الموت، الخوف من عذاب القبر، الخوف من عذاب النار، الخوف من الشك. بشكلٍ عامٍ لم يكن الدِين يأخذ حيّزًا كبيرًا من اهتمامي لسنواتٍ طويلةٍ جدًا من حياتي، غير أنّني في مرحلة المراهقة توجهتُ إلى الالتزام الديني، فكنتُ أسعى لحفظ القرآن، وأعتكف في رمضان، وأواظب على صلاة الجماعة في المسجد، ولم يستمر هذا الأمر سوى لعامٍ واحدٍ فقط، قبل أن أترك الالتزام، وأتحوّل إلى مُتدينٍ ظاهري، كما كنتُ سابقًا، وكما كان كثير من أبناء أسرتي، وأبناء جيلي أيضًا. وبطبيعة الحال، فلم تكن ثمة مساحةٌ لطرح ومناقشة القضايا الدينيّة داخل نطاق الأسرة؛ وبالتالي لم تكن لدى أحدنا الجرأة على مجرد التفكير في طرح أي أسئلةٍ حول الدين بأي حال من الأحوال. لفترةٍ طويلةٍ من الوقت كنتُ على خلافٍ دائمٍ مع والدي بسبب إهمالي في أداء الصلوات، وكان يعتبر

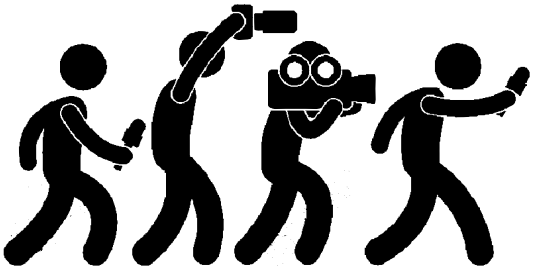

هشام آدم

تحولي من المنحى الالتزامي إلى الإهمال والتهاون، دليلًا على حلول كارثةٍ أخلاقيّة، فكان مُستاءً من ذلك. ورغم أنّني -في ذلك الوقت- كنتُ لا أزال مُسلمًا، إلا أنّني لم أكن أتقبّل فكرة الإجبار على الصلاة، وربما كان ذلك أول ما فتح في ذهني نافذةً صغيرةً جدًا للتساؤلات حول الدين، وما يتعلّق به. علاقتي الآن مع أسرتي علاقةٌ جيّدة، رغم اعتراضهم على إلحادي، ورفضهم لما أُقدّمه أو أكتبه من كتاباتٍ ضد الإسلام، ولكنهم يُحاولون تجاهل ذلك قدر الإمكان.

س2. المدرسة هي بلا شكٍ الأسرة الثانية وثاني مؤثرٍ في شخصياتنا، حبذا لو تروي لنا هشام الطالب كيف كان وهل من موقفٍ معيّنٍ ترك أثره في ذاكرتك من أيام الدراسة؟

ج2. كما قلتُ سابقًا، فقد تلقيت تعليمي الأساسي في المملكة العربيّة السعوديّة، ودرست كل المراحل الدراسيّة بها، وكانت المناهج السعوديّة -في ذلك الوقت- تركّز بشكلٍ أساسيٍ على العلوم الدينيّة: القرآن، الحديث، التوحيد، التفسير، الفقه، وكانت جرعاتها مكثّفةً جدًا. ليست لدي ذكرياتٌ ناضجةٌ عن المرحلة الدراسيّة، ولكن أذكر أنّني كنتُ أطرح على أساتذة الدين تساؤلاتٍ كثيرةً جدًا، لم يكن الغرض أو الدافع من ورائها التشكيك، بل كانت -حتى بالنسبة إليّ- تساؤلاتٍ فضوليّةً سببها الجهل بالدين، لا أكثر. لا أذكر أنّني كنتُ متفوّقًا في الدراسة، وكان تقييمي اعتياديًا، إذ لا يُمكن تصنيفي كطالبٍ متفوق، كما لا يُمكن تصنيفي كطالبٍ خائبٍ أيضًا. عندما كنتُ في المرحلة الثانويّة، وتحديدًا في السنة الأولى منها، شاركتُ في مسابقةٍ للشِعر على مستوى ثانويات مدينة الرياض، وأحرزتُ المركز الأول في المسابقة. ربما كان ذلك أكثر ما أتذكره عن مراحلي الدراسيّة، لأنّ ذلك كان له أثرٌ كبيرٌ في نفسي وقتها. كنتُ أكره مادة الرياضيات، وبسبب ذلك توجهتُ إلى التعليم الأدبي هربًا من هذه المادة. أعترف الآن أنّني نادمٌ على ذلك القرار، إذ كانت لدي رغبةٌ في أن أُصبح طبيبًا عندما أكبر، ولكن هذا القرار غيّر مسار حياتي تمامًا.

هشام آدم

س3. كسودانيّ يعيش في الغرب، هل أنت خاضعٌ لهذه الثنائية؟ وهل تعيشها على مستوى العقل والقلب أم أنك تعتبر نفسك إنسانًا متعدد الحيوات؟ وماذا أضافت إليك الهجرة؟

ج3. أنا أعتبر نفسي شخصًا بلا وطن، وبلا انتماء. فقد وُلدتُ في مصر، ونشأتُ في السعوديّة لسنواتٍ طويلة، ولم أعش في السودان لأكثر من ست سنواتٍ طوال حياتي كلها. ولهذا فقد اعتدتُ على الغربة، وهي كذلك اعتادت عليّ. على المستوى الشخصي، فإنّني أرى أنّ كل ما لم أتدخّل بصناعته لنفسي وبنفسي لا يستحق الاعتداد به، ولهذا أعتبر نفسي كائنًا كونيًا لا ينتمي إلى شيءٍ سوى إلى هذه الكرة الأرضيّة. وجودي في أوروبا -للحقيقة- لم يُضف لي شيئًا، سوى الإحساس بالأمان النسبي، وامتلاكي تلك الحقوق، التي كنتُ أؤمن بأنّها ليست منحةً أو مُجرد ترف، كما كان إحساسي وأنا أقيم في المنطقة العربيّة. وفي المقابل فإنّ وجودي في أوروبا كان خصمًا عليّ، إذ وجدتُ نفسي مضطرًا لتعلّم لغةٍ جديدةٍ كليًّا، وهو ما عنى أن أظل لوقتٍ طويلٍ عاطلًا عن العمل لحين إجادة اللغة.

خلال فترة بقائي في أوروبا أشعر أنّني فقدت الكثير من سماتي الشخصيّة، كما أنّني فقدت العديد من الأصدقاء أيضًا. لسببٍ غامضٍ لا أعرفه على وجه الدقة، أشعر أنّ حياتي متوقفةٌ منذ مجيئي إلى هنا. أحاول قدر الإمكان الاستمتاع بحياتي، والمواصلة في أعمالي، وكتاباتي النقديّة والفكريّة، وهو ما يهوّن عليّ الأمر قليلًا.

س4. ماهي عوائق الإبداع في بلادنا برأيك، وهل من رؤًى أو حلولٍ ممكنة التطبيق؟

ج4. أعتقد أنّ الإبداع مرهونٌ بثلاثة أمورٍ أساسيّة: أولها الحريّة، فبدون الحريّة لا يُمكن لأي شخصٍ أن يُبدع، حتى وإن كان يمتلك الموهبة المطلوبة لذلك. وسقف الحريّة في البلدان العربيّة متدنٍ جدًا، وفي ظل حكوماتٍ قمعيّةٍ كحومات بلداننا، فإنّه لا يُمكن توقع أي إبداعٍ حقيقي، وربما كان ذلك السبب وراء نجاح وإبداع بعض أبناء المنطقة العربيّة خارج بلدانهم، بل وخارج منطقتهم الثقافيّة. وثانيها الأمان، وهو ما لا يتوفر في كثيرٍ من البلدان العربيّة، والأمان الذي أقصده هنا ليس هو نقيض الحرب فقط، بل الأمان النفسي، والعاطفي، والجنسي، والاجتماعي. إن عدم تحقق أولويات الإنسان تجعل من الصعب إمكانيّة خلق إبداعٍ حقيقي، لأنّه دون توفر هذه الأولويات سيكون الإنسان مشغولًا كثيرًا بذاته، مهاجسًا بها. وثالثها هو توفر المادة أو المال، ولأنّ عدم وجود دعمٍ ماديٍّ لبعض الأعمال الإبداعيّة، يُؤدي إلى إخفاقها،

والحيلولة دون تنميتها وتطويرها، وبعض الأعمال الإبداعيّة -بطبيعتها- تحتاج إلى المال، فالمشاركة في المعارض الفنيّة تحتاج إلى مال، وطباعة الكُتب تحتاج في كثير من الأحيان إلى المال، وإنتاج فيلم سينمائي يحتاج إلى المال.

س5. ماهي أول الأسئلة التي بدأت تغزو عقلك حول الكون والحياة والدين... ومتى بدأت تتبلور هذه الصورة في رأسك؟ إلى من أو إلى ماذا كنت تلجأ لإرواء عطش أسئلتك. ما هو المكان الذي تثق به للحصول على الحكمة؟

س4. ذكرتُ سابقًا أنّ خلافاتي الدائمة مع والدي، حول موضوع الصلاة، كانت النواة الأولى للتساؤلات حول الدين، ومعنى التدين. والحقيقة أنّ تلك التساؤلات لم تكن تساؤلاتٍ عميقةٍ بما يكفي لإنشاء عصفٍ ذهنيٍّ مقلق، بل كان الأمر أشبه بثورةٍ مراهقةٍ ضد السلطة الأبويّة فحسب، ولكن بدايات تفتّق الوعي الأول كان في المرحلة الجامعيّة، عندما انفتحت على عوالم فكريّةٍ مختلفةٍ ومتنوعة؛ إذ كانت الجامعة تعج بالحراك السياسي والفكري لمختلف الأحزاب والتيارات السياسيّة، وكانت ثمة حالةٌ من الاستقطاب الشديد، والذي دفعني للرغبة في معرفة البرنامج السياسي، والأساس الفكري لكل حزب. ونتيجةً لذلك انضممتُ -في المرحلة الجامعيّة- إلى الحزب الشيوعي السوداني، والذي كان التنظيم الطلابي له داخل الجامعات السودانيّة يُعرَف باسم (الجبهة الديمقراطيّة)، وداخل هذا التنظيم تعرفتُ على أصدقاءٍ وزملاءٍ أصحاب رؤًى مستنيرة، كان لهم الفضل في وضعي على بداية الطريق نحو أسس التفكير العقلاني. وفي تلك المرحلة أصبحتُ ربوبيًا لادينيًا. ولكن نجاحي في كسر حاجز الرهبة والخوف من طرح الأسئلة، جعلني لا أتوقف عند ذلك الحد، فبدأتُ أهتم كثيرًا بفكرة وجود الخالق، والذي لم يكن لي أن أقطع فيه برأي، إلّا عن طريق القراءة المتعمقة في بعض النظريات العلميّة، وهو ما دعاني -لاحقًا- إلى القراءة عن الفيزياء، والأحياء، وعلم الكونيات (Cosmology)، وكان ذلك أمرًا شاقًا بالنسبة إليّ، لاسيما وأنّ تحصيلي كان أدبيًا في الأساس. ولكن -وبصورةٍ أساسيّة- فإنّ أول ما دفعني لطرح تساؤلاتٍ حول الحياة، هو الموت. إنّ فكرة الموت باعتباره غيابًا كاملًا تُعتبر فكرةً مؤرقةً، ومثيرةً للاهتمام أيضًا.

س6. أين ترى نفسك في هذه التصنيفات والمسميات التالية ملحد لاديني لا أدري...

ج6. أنا أصنف نفسي ملحدًا، رغم أنّ البعض يعتبرني لا أدريًا. وأعتقد أنّ السبب في ذلك هو أنّ ثمّة مشكلةً في تعريف أو تحديد الإلحاد، ومَن هو الملحد، ولكن المسألة -بالنسبة إليّ- في غاية الوضوح. الإلحاد هو على النقيض من الإيمان، فإذا كان الإيمان هو التصديق بالشيء دون دليل، فالإلحاد هو رفض التصديق بالشيء دون دليل، سواءٌ كان هذا الشيء هو فكرة الله أو أي فكرةٍ أخرى لا يُمكن إثباتها بشكلٍ مادي. فأنا -مثلًا- ملحدٌ فيما يتعلق بوجود الكائنات الفضائيّة، إذ لا تُوجد أدلةٌ علميّةٌ مؤكدةٌ على وجودها، رغم أنّه -من الناحية المنطقيّة- لا يُوجد ما يمنع أن تكون موجودةً، ولكن الإقرار بوجودها يحتاج إلى دليل، وعدم توفر دليلٍ يجعلني أرفض التصديق بوجودها. وهنا يكمن الفرق، إذ أنّ البعض يعتقدون أنّ الإلحاد هو رفضٌ لفكرة الله أو لفكرة وجوده، في حين أنّ الإلحاد -من وجهة نظري- هو: رفض التصديق

بفكرة الله أو فكرة وجوده، وليس رفضًا للفكرة نفسها، فالفكرة نفسها موجودةٌ وقائمة، ولكنها فقط تحتاج إلى دليلٍ حتى تخرج من عالم الوجود الذهني الذاتي إلى عالم الوجود الحسّي الموضوعي، ولهذا فإنّ عبارة: "الإلحاد هو إنكار وجود الله" هي عبارةٌ خاطئةٌ وخادعة، لأنّ إنكار الشيء -غالبًا- يتطلب وجوده أولًا، وهذا ما لم يثبت في الأساس. وأنا -كمُلحد- لا يتوقف إلحادي عند فكرة الله، بل يتعداه إلى جميع الأفكار الأخرى، التي لم يثبت وجودها بشكلٍ حسيٍّ موضوعيّ. ولهذا فإنني أتبنّى التعريف الذي قدّمه البروفيسور لورنس كراوس: الإلحاد هو قبول الدليل الواقعي، وإن ظهر شيءٌ يبدو أنّه يُناقض الدليل الواقعي أو أنّه بدا لاعقلانيًا، فإنّه يتشكك به. ويُخطئ البعض عند وصفي باللاأدري، فالحقيقة أنا أدري. أنا أدري أنّ هنالك مُسببًا (أو سلسلةٌ من المسببات) لوجود الكون، لأنّ العقل يقول ذلك، ولأنّ المبدأ العلمي يقول ذلك، ولكن عندما يتعلّق الأمر بتحديد ماهيّة هذا المسبب، فأنا لاأدري. واعتباري لاأدريًا لأنّني لا أدري هويّة أو ماهيّة مُسبب الكون هو نوعٌ من الخلط، لأنّ اللاأدريّة متعلقةٌ بالوجود نفسه، وليس بماهيّة الوجود. ولهذا فإنّ اللاأدري، وحسب قاموس أكسفورد، هو الشخص الذي يعتقد بأنّ المعرفة متوهمة، وأنّه لا يُمكن أبدًا معرفة ما إذا كان الله موجودًا أم غير موجود، وهذا التعريف لا ينطبق عليّ بحال من الأحوال، فأنا أؤمن بأنّ المعرفة الحقيقيّة ممكنة، وهنالك حقائقٌ لا يمكن الطعن أو التشكيك بها، لاسيما الحقائق العلميّة، وأؤمن كذلك بأنّ فكرة الله (الشخصاني) غير موجودةٍ إطلاقًا، ولكن موقفي من فكرة الخالق هي القابلة للمناقشة عندي، وأرفض تمامًا أي طرحٍ من شأنه أن يقترح ماهيّةً لهذا الخالق بدون أي دليل، وهذا هو الإلحاد في نظري.

س7. من هم كُتابك المفضلون وهل من كتبٍ تنصحنا بضرورة قراءتها؟

ج7. أنا أُحب القراءة بكافة أنواعها وموضوعاتها، ولا أتذكر أنّني ندمت على قراءة كتابٍ ما، لأنّ قراءتي لأي كتابٍ حتى آخره يعني أنّه لقي استحساني بأي شكلٍ من الأشكال. ولكن عندما يتعلّق الأمر بالكتابات الأدبيّة، فأنا أعشق كتابات غبريال غارسيا ماركيز، وهاروكي موراكامي، وجورج أرويل، وألبير كامو على وجه التحديد. وبصورةٍ عامةٍ فإنّني أعشق قراءة الكتب الفلسفيّة والفكريّة، والكتب التي تتناول موضوع الأنثروبولوجيا (Anthropology)، لاسيما كُتُب فراس السّواح. وأنصح بقراءة كتاب (تاريخ المعتقدات

هشام آدم

والأفكار الدينية) للمؤلف ميرسيا إلياد، وكذلك كتاب (العقل في التاريخ) لهيجل، بالإضافة إلى كتاب (الجين الأناني) لريتشارد دوكنز، وكتاب (النزعات المادية في الفلسفة العربية والإسلامية) لحسين مروة، وكتاب (نقد الفكر اليومي) لمهدي عامل. وبالعموم، فإنّ أي كتابٍ يتناول الفلسفة أو التاريخ أو الفِكر، فهو بلا شكٍ مهمٌ ومفيد.

س8. الفن ينبع من الذات إلا أنه يتواصل مع ذواتٍ بشرية، هل من كتاب قرأته فخرجت من عالمه ليس كما دخلت؟

ج8. تقريبًا كل كتابات فراس السَواح تجعلني أخرج إنسانًا آخر، أكثر حزنًا، وأكثر تواضعًا، ولكن فيما يتعلّق بالكتابات الأدبيّة فإنّني أتعامل معها باعتبار وظيفتها وحسب، ووظيفة الأدب -كما أعرفها- هي المتعة؛ فالاستمتاع والدهشة هو كل ما أبحث عنه في الكتابات الإبداعيّة، ولكن لا أتوقع أبدًا أن تُحدِث أي كتابةٍ أدبيّةٍ تحوّلًا ما، في حياتي أو في شخصيتي أو حتى في انفعالاتي أو أفكاري.

ولكن -وبعيدًا عن القراءة- فإنّ كتابتي لسرديّة (قونقليز) والتي صدرت عام 2010 أدخلتني في حالةٍ من الحزن والكآبة، لم أستطع التخلّص منهما حتى الآن.

لقد تأثرتُ كثيرًا بهذه الكتابة، لأنّني حاولت في هذه السرديّة أن أتناول شخصيّةً انفصاميّةً (Schizophrenic)، وأغوص فيها بغرض محاولة تحليلها، والوقوف على أبعادها النفسيّة، وكيف يتعامل المجتمع مع مثل هذه الشخصيّة في الحياة اليوميّة، مستفيدًا من دراستي لعِلم النفس في الجامعة.
وبطريقةٍ ما، فإنّ أبعاد هذه الشخصيّة لامستني، وأثّرت فيَّ بصورةٍ مباشرة، ولم أستطع التخلص من لعنة شرف الدين بابو (الشخصية المحوريّة في السرديّة)، حتى الآن. كما أنّني تأثرتُ كثيرًا بسرديّة (سلطانة) لغالب هلسا، وبسرديّة (الغريب) لألبير كامو.

منطقة حرة لا ضرائب فيها على التفكير، تختفي هالات القدسية هنا ويتساوى الجميع.

/MINDREL
@MindisReligion
mind-den.blogspot.com

هشام آدم

س9. لك العديد من المقالات والكتابات على الإنترنت ولديك كتبٌ مطبوعة ... ماهي أحب كتبك إلى قلبك ... ولماذا ... ما الذي يميّز مكتوبًا عن مكتوبٍ آخر إذا كان لهما نفس القلم؟

ج9. الحُكم هنا سيكون حُكمًا ذاتيًا، يعود تمامًا ونهائيًا إلى القارئ. أمّا بالنسبة إليّ، فأنا لا أرتبط عاطفيًا بكتاباتي. بمعنى أنّني لا أحب ولا أكره كتاباتي، فعلاقتي بها تنتهي بمجرد انتهائي من كتابتها ونشرها، وفيما عدا تلك الحالة النفسيّة السيئة التي تسببت بها سرديّة (قونقليز)، فلم يحدث أن ظللت متعلقًا بكتابةٍ كتبتها أبدًا. وعلى جانبٍ آخر فأنا أُشفق كثيرًا على كتاباتي لأنّني أشعر أنّها مظلومةٌ بسبب نسبتها إليّ، وأعتقد أنّ مصيرها كان من المحتمل أن يكون أفضل لو أنّها كانت لشخصٍ آخر غيري.

ثمّة سببٌ غامضٌ حاولت فهمه والإمساك به خلال السنوات العشر الماضية، يجعل كتاباتي لا تنال حظّها من الانتشار والقراءة، وقد حاولتُ مرارًا مُعالجة هذا الأمر، تارةً عن طريق تغيير دار النشر، وتارةً عن طريق محاولة توفير نُسخٍ من كتبي -أو بعضها على الأقل- إلكترونيًا بصيغة PDF لكلّ من يطلبها مني شخصيًا أو حتى توفيرها على بعض المواقع الإلكترونيّة، ورغم ذلك ما زالت الكثير من كتبي غير منتشرة، وغير مقروءة، وحتى أنّني لا أعرف أماكن توفّرها في الأسواق العربيّة، بل حتى أنّني لا أملك نسخًا من أعمالي، ولهذا احتفلتُ مؤخرًا بحصولي على نسخةٍ من سرديّة (بتروفوبيا)، رغم صدورها في العام 2009.

س10. في رواية (أرض الميّت) التي رسمت فيها صورةً عن أهل قرية (أرض الميّت) حيث قمت بعرض فكرة أن المجتمعات والتراث مرتبطةٌ بشكلٍ عميقٍ مع الموروث الديني والأسطوري. إلى أي مدى تعتقد أن أساطيرنا تحدد من نكون ... وما هي الحدود التي يتوقف عندها الموروث وتبدأ الذات، أم أننا كلنا نتيجةٌ حتميةٌ لما كان؟

العلاقة بين الإنسان وبين الأسطورة هي علاقةٌ قويّةٌ جدًا، وأعتقد أنّ العلاقة بينهما تُشبه إلى حدٍّ كبيرٍ علاقة الطفل بأبويه، فرغم أنّنا -في تكويننا البيولوجي- نتقاسم الجينات الوراثيّة من الأبوين، ورغم أنّ هذه الجينات تتداخل بصورةٍ مُباشرةٍ في تشكيلنا (المورفولوجي) (Morphological Shape)، بل وحتى في سلوكنا،

إلّا أنّه -وبطريقة ما- لا نكون نُسخًا مُطابقةً لهما، بل وقد نكون على العكس منهما تمامًا. فنحن -على هذا المنوال- ننبثق من الأسطورة، ولكن لا يعني ذلك -بالضرورة- أن تتحكّم الأسطورة بنا بشكلٍ كليٍّ أو بعضنا على الأقل. الإنسان -أي إنسان- هو ابن بيئته ومجتمعه، والمجتمع هو ابن تراثه وموروثاته. وبالنتيجة فإنّ الأسطورة هي نتاج أفكارنا، وتصوراتنا، ومخاوفنا. إنّ الإنسان يصنع أسطورته وفقًا للطريقة التي يُفكر بها، فيخلقها على النحو الذي يُريد، ولهذا فإنّ الأسطورة لا تتصادم مع الإنسان، بل الإنسان هو من يتصادم معها، لأنّ الأسطورة هي صنيعة الإنسان، ولكن ليس الإنسان -بالضرورة- صنيعة الأسطورة.

ولهذه خلق الإنسان أسطورة الحياة بعد الموت، لأنّ رغبته هي ما أملت عليه ذلك، فرغبة الإنسان في الخلود، وخوفه من الموت المرتبطتين بغريزة البقاء هي -في الحقيقة- ما كانت وراء نشوء أسطورة الحياة بعد الموت بكافة أشكالها عبر الثقافات والأديان المختلفة. إذا استسلم أحدهم لفكرة أنّ شخصًا ما يُراقبه في غرفة نومه، فلن يتمكن من النوم أبدًا، وبالنتيجة فإنّه سوف يُصبح أسيرًا لفكرة خلقها هو بنفسه، وقيّد نفسه بها بإرادته. والوسيلة الوحيدة للتخلّص من سلطة الأسطورة هو الاحتماء بالعقل النقدي والعلمي، فهما الضمانة الوحيدة لتخليص الذات من أفكارها، عبر ربطها بما هو قابعٌ خارجها، على أرض الواقع.

س11. في رواية (بتروفوبيا) رأى البعض أن الأحداث والشخوص والعناصر من دينٍ وسياسةٍ ما هي إلا أدواتٌ تلعب على أوتار عواطفهم لكي تُريهم الطريق وتوصلهم إلى الفكرة الحقيقة من الرواية. هلّا أخبرتنا عن تلك الغاية.

ج11. استخراج الغاية من أي عملٍ سرديٍّ هو وظيفةٌ خالصةٌ للقارئ، ولا يحق للكاتب -بأي حالٍ من الأحوال- أن يفرض غايته ويكشف أفكاره المخبأة في سرديته، وإلّا لما لجأ إلى إخفائها ابتداءً. العمل السردي هو عملٌ ترميزيٌّ في المقام الأول، ولو كان بالإمكان الإفصاح عن الرمز لكان الأجدر بالكاتب أن يصوغ أفكاره بشكلٍ مباشرٍ في مقال. ولكن وبشكلٍ عامٍّ فإنّ غاية أي عملٍ سرديٍّ (أو فنيٍّ عمومًا) هو الإمتاع والإدهاش كما قال جون بول سارتر.
فإذا نجح أي عملٍ فنيٍّ في أداء هاتين الوظيفتين أو إحداهما فقد بلغ مأربه ومقصده تمامًا. فِكرتي الأساسيّة من وراء سرديّة (بتروفوبيا) هي تحقيق مقلوب معادلة (نحن والآخر)، وذلك بتقمّص شخصيّة الآخر، ومحاولة معرفة كيف يُفكر الآخر، وكيف يرانا. إنّ العمل السردي هو عملٌ تجريبي، وقد أحببتُ أن أخوض تجربة التقمص هذه، في محاولةٍ لإقناع القارئ بأنّ الكاتب هو الآخر نفسه. كان ذلك نوعًا من التحدي، ولا أعرف إن كنتُ قد نجحتُ في ذلك أم لا، ولكنني سعيدٌ بتلك التجربة على أي حال.

هشام آدم

س12. (كاجومي) ... هل هي رحلة البحث عن الذات أم رحلة تعريف الواقع والعقبات التي تنحتنا وتشكل ذواتنا. هل نحن النُحّات ... أم أننا مشاهدون؟

ج12. يُمكنني الإجابة على هذا السؤال بعيدًا عن سرديّة كاجومي، لأنّني لا أملك أن أفرض رؤيتي على القارئ، فهو حرٌ تمامًا في أن يخرج من السرديّة بما يراه وفقًا لفهمه الخاص. في رأيي الخاص ثمّة حتميّةٌ فوضويّةٌ تتحكم بهذا العالم، فالفاشل يُولد فاشلًا، والناجح يُولد ناجحًا. هذا مبدأٌ عامٌ يسري على نحو أكثر من 90% من سكان العالم، والاستثناءات قليلةٌ جدًا مهما كثر عددهم، لأنّهم مقارنةً بعدد سكان العالم لا يكادون يُذكرون. تلك القصص التي نسمعها عن الفقير الذي كافح كثيرًا حتى أصبح من أهم رجال الأعمال في بلد ما، هي قصصٌ استثنائيّةٌ تلعب الصدفة المحضة دورًا كبيرًا في خلقها، ولكن المبدأ العام هو حتمية الفوضى. الأمر أشبه بضربة البداية في لعبة البلياردو، عندما تبدأ الكرات بالتصادم والتحرك بشكلٍ عشوائي، فيما تسقط بعض الكرات في الحفرة بطريقةٍ غير مدروسة، لا مخطط لها أبدًا. البحث عن الذات ما هو إلّا محاولةٌ لفهم قوانين لعبة البلياردو، ولكن في كل مرةٍ تكون نتائج ضربة البداية في البلياردو مختلفةً. ولهذا كانت مقولة والدة عبد الواحد (بطل السرديّة): "لا شيء سيتغيّر"، وفي الوقت الذي نرى فيه أنفسنا ككرة بلياردو وهي تتحرك باتجاه ما، فإنّنا نرى بقيّة الكرات تتحرك أيضًا في اتجاهٍ آخر. قليلون هم من ينجحون في تحقيق أهدافهم، وعبد الواحد كاجومي لم يكن واحدًا منهم بالتأكيد، وحتى أولئك الذين نجحوا في تحقيق أهدافهم لم يكن الأمر بيدهم تمامًا، فقد ساعدتهم ظروفٌ كثيرة، وُجِدت بمحض الصدفة في طريقهم، ولهذا كانوا محظوظين، وسمة الحظ في السرديّة سمةٌ أساسيّةٌ ومقصودةٌ تمامًا.

س13. باتت المصطلحات الدينية جزءًا من ثقافتنا اللغوية، فكم من تعبيرٍ ومصطلحٍ دينيّ المنشأ نستخدمه في يومياتنا ومناسباتنا الاجتماعية. لديك رأيٌ في هذه الأمر وتشبيهُ ذلك بما لقّبته بـ (الفخفخينا)، حبذا لو ترجمت لنا هذا المسمّى العاميّ ووضّحت لنا فكرتك تحديدًا لو سمحت.

ج13. الفخفخينا هي شراب الكوكتيل (Cocktail)، وإنّما قلتُ ذلك لما أرى من خلط وتداخل للمفاهيم لدى البعض، وهو ما يجعلنا غير قادرين على تطبيق كثيرٍ من المفاهيم على النحو الصحيح، بل نُخضعها لمعاييرنا الذاتيّة، بحسب فهمنا المغلوط لها. فعلى سبيل المثال عندما نتكلّم عن حريّة الرأي، فإنّ البعض يلجأ إلى التفريق بين حريّة الرأي والإساءة إلى مقدساته، فيرى بذلك أنّ الإساءة إلى المقدسات لا تدخل ضمن حريّة الرأي. وكذلك عندما يتكلّم البعض عن الحريّة المطلقة في التفكير، مع وضع قيودٍ وشروطٍ على حريّة الرأي (على النحو السابق)، فإنّ هذا ضربٌ من تداخل المفاهيم. والحقيقة إنّ حريّة التفكير، وحريّة الرأي لا ينفصلان عن بعضهما البعض، وكلاهما من الحقوق المشروعة لكل إنسان، لأنّ ما يراه وما يعتبره أحدٌ مقدّسًا لا يراه الآخر كذلك، بل وقد لا يعني له شيئًا على الإطلاق، وحتى أنّه قد يكون له رأيٌ سالبٌ عنه. كما أنّ حرية الرأي (والتي تتضمن داخلها حريّة نقد الأديان) لا تتعارض أبدًا مع حرية الاعتقاد، وبسبب

هذا التداخل في المفاهيم فإنّنا نرى البعض يرفعون شعار حريّة الاعتقاد والمعتقد في وجه مَن يُمارسون حريّة الرأي، وينتقدون معتقداتهم. وهنا يتقاطع مفهوم الحريّة مع مفهوم الإساءة، إذ أنّ الشخص الواقع تحت تأثير القداسة سوف يرى أي نقدٍ لفكرته إساءةٌ لها، وعندها سيُنصّب نفسه مسؤولًا عن تحديد سقف حريات الآخرين. أمّا عن المصطلحات الدينيّة فهذا له علاقةٌ بتطور اللغة، وعلاقة اللغة بالإنسان أيضًا. فكثيرٌ من العبارات الدينيّة تنتقل (عبر حركة المجتمع) من خانة العبارات (Phrases)، إلى خانة التعابير (Expressions)، وهذا الانتقال يُفقد العبارات طابعها الديني، لتأخذ وظيفةً أخرى، وهي الوظيفة التعبيريّة، وهذه الوظيفة التعبيريّة مرتبطةٌ تمامًا بالجانب الثقافي للإنسان.

ونحن نعلم أنّ الإنسان ابن بيئته ومجتمعه وثقافته، وحتى لو حاول الإنسان أن يتملّص من هذه الثقافة، فإنّه لن يستطيع. فاستخدام بعض الملحدين (بل وحتى المتدينين) لبعض العبارات الدينيّة هو في حقيقته لا يحمل أي دلالةٍ دينيّة، بل يحمل دلالةً ثقافيّةً لا أكثر. لتُصبح عبارة: "إن شاء الله" مُقابلًا ثقافيًا للتعبير عن الوعد، وعبارة: "حمدًا لله على السلامة" مُقابلًا ثقافيًا للتعبير عن الترحيب، وعبارة: "سبحان الله" مُقابلًا ثقافيًا للتعبير عن التعجُّب أو الاستحسان

وهكذا. ولهذا فإنّنا لا نستغرب من استخدام الأم مثلًا لصيغة القسم (وهي صيغةٌ دينيّةٌ في الأساس)، في موقعٍ لا علاقة له بالمجمول الديني أصلًا، فقد نسمعها تقول لابنها وهي تهدده: "والله سأقتلك وأرميك للكلاب إن فعلت كذا وكذا"، فهي ليست جادةً في هذا التهديد طبعًا، كل ما في الأمر أنّ القَسَم هنا أخذ محمولًا ثقافيًا وليس دينيًا، وهو التهديد والتشديد عليه. كذلك قد يُستخدم القَسَم لأغراض الاستهلال لا أكثر، فنسمع أحدهم يقول مثلًا: "والله إذا أراد أحدهم أن يُشاركنا طعامنا فله ذلك" فهنا القسم ليس قسمًا، بل هو استهلال، وهو أسلوبٌ شائعٌ بكثرة، وهذا الأسلوب لا علاقة له بأي محمولٍ دينيٍّ على الإطلاق، حتى مع استخدام لفظةٍ دينية، فالاستخدام هنا يُجسد التأثير الثقافي، وليس الديني، وثمة تداخلٌ بين ما هو دينيٌّ وبين ما هو ثقافيٌّ بطبيعة الحال، لأنّ الدين هو أحد العناصر المكوّنة للثقافة، فاستخدامنا لمثل هذه التعابير هو دليلٌ على التعوّد (الذي يعود بدوره إلى تأثير الدين على ثقافة المجتمع) ولا يعود إلى التدين، فبعض المتدينين يسبّون الدين في حديثهم الشعبي مثلًا، دون أن يعني ذلك إعلانًا صريحًا منهم بخروجهم عن الدين. والأمثلة كثيرةٌ جدًا، وقد تناولتُ هذه الفكرة بشيءٍ من التفصيل في مقالٍ بعنوان (نقد العبث اليومي) تم نشره في موقع الحوار المتمدن.

هشام آدم

س14. تقول كما هو معروفٌ أنه قبل تطور المنهج العلمي التجريبي كانت الفلسفة هي المصدر العلمي الوحيد للمعرفة. اليوم، ما هو دور وأهمية الفلسفة برأيك؟

ج14. أنا أعتبر دراسة الفلسفة أمرًا مهمًا للغاية، فالفلسفة تُنظّم طريقة التفكير، وتصقله، وتُعمقه. وكثيرٌ من مشكلاتنا (المفاهيمية) سببها الأساسي -في الغالب- هو عدم إلمامنا بالفلسفة. معرفة الفلسفة تتيح لنا معرفة النمط التفكيري الذي ننتمي إليه: ما إذا كان ماديًا فلسفيًا أم مثاليًا فلسفيًا، وبدون هذه المعرفة فإنّنا قد نقع في معضلة عدم الاتساق، إذ قد يقع الإنسان في التناقض بين طريقتي تفكيرٍ مختلفتين تمامًا، ولكنه لن يستطيع الانتباه إلى ذلك، طالما لم تكن له

معرفةٌ وإلمامٌ بالفلسفة، ومذاهبها، وتياراتها الرئيسيّة. كما أنّ الفلسفة قد تمنحنا فرصة تعلّم طرق التفكير المنطقي، وبالتالي التفكير النقدي، وهذا ما يُساعدنا على خوض نقاشاتٍ بشكلٍ أكثر عقلانيّة، لأنّ أهم ركنٍ من أركان النقاش والحوار العقلاني هو القدرة على صياغة الأفكار بشكلٍ منطقيٍّ وسليم، وفي الوقت ذاته القدرة على فهم وإدراك جوهر الأفكار المطروحة من الطرف المقابل. وعلى هذا فإنّ الفلسفة مهمةٌ وضروريّةٌ للحصول على المعرفة (Knowledge)، ولكن في الوقت ذاته لا يُمكننا الوثوق بالفلسفة للحصول على حقائق (Facts). الفرق بين المعرفة والحقيقة هي أنّ المعرفة قد تكون صائبةً وقد تكون خاطئةً، فهي كل معلومةٍ يُمكن للإنسان التحصّل عليها من أي مصدرٍ مُتاح، بينما الحقيقة تكون نتيجة فحص هذه المعرفة، واختبارها، والتأكد من صحتها. وهنا يقع البعض في اللبس عندما يسخرون من نتائج بعض الدراسات العلميّة، كتلك التي تقول إنّ نظر الرجل إلى مؤخرة المرأة يُطيل عمره مثلًا أو تلك الدراسة التي تقول إنّ الأشخاص الذين يسهرون هم أعلى ذكاءً من أولئك الذين ينامون باكرًا، وغير ذلك من دراساتٍ منتشرة. فهذه الدراسات -إن كانت صحيحةً- ليست مصدرًا للحقائق، بل هي مصدرٌ للمعلومات؛ فالمصادر الأوليّة للمعرفة هي

الأبحاث والدراسات المنشورة في المجالات العلميّة ذات الموثوقيّة العالية، لأنّ هذه المعلومات في هذه المصادر تخضع إلى التمحيص والفحص والمقارنة بالأضداد، ولا تُنشَر حتى يتم التأكد من صحتها من قِبل عددٍ كبيرٍ من العلماء. وعمومًا، فإنّه لا يُمكننا الوثوق بالفلسفة كمنهجٍ لفحص واختبار المعرفة، لأنّ المنهج الفلسفي قد يكون منهجًا مثاليًا (ذاتيًا)، أي أنه ينطلق في تقييمه وفهمه للأشياء باعتبارها انعكاسًا لما في أذهاننا، لا باعتبارها موضوعاتٍ مستقلةٍ عن تصوراتنا الذهنيّة. وإذا كان الإنسان غير مستبصرٍ بالفلسفة ومدارسها، فإنّه من الممكن أن يقع في هذا الخطأ دون أن يدري، ودون أن يملك القدرة على إدراكه.

إنّ طريقة التفكير المنطقيّة لا تقود -بالضرورة- إلى حقيقة، بل تقود دائمًا إلى معرفةٍ معززةٍ بالحجج المنطقيّة، بينما يُقدِّم لنا العِلم معرفةً معزّزةً بالأدلة الماديّة. والحجج المنطقيّة لا قيمة لها أمام الأدلة الماديّة. وعلى سبيل المثال فإنّه من الناحية المنطقيّة لا يُمكن أن يتصف الشيء نفسه بصفتين متناقضتين في الوقت ذاته، فلا يُمكننا -مثلًا- وصف شيءٍ بأنّه باردٌ وحارٌ في الوقت ذاته، أو أنّه مُحلًّى ومالحٌ في الوقت ذاته، أو أنّه مُتسخٌ ونظيفٌ في الوقت ذاته.

هذا الأمر هو ضد مبدأ عدم التناقض، وهو أحد مبادئ المنطق الثلاثة، ولكن في ميكانيكا الكم -مثلًا- تمتاز الجسيمات دون الذريّة بأنّ لها خاصيّةً موجيّةً، وخاصيّةً جسيميّةً في الوقت ذاته، وهذه الخاصيّة المزدوجة مثبتةٌ علميًا، ويُمكننا القول بأنّها حقيقة: أي أنّها مُعرَّفةٌ مُثبتة، وتم التأكد من صحتها، وليست مُجرّد معرفةٍ وحسب.

وتناقض هذه الحقيقة العلميّة مع المنطق الفلسفي، يُؤكد على أنّ المعرفة العلميّة لا تخضع دائمًا إلى قوانين المنطق الفلسفي، وأنّ المنهج العلمي هو ما يُمكننا الاعتماد عليه للحصول على الحقائق، بينما ما لم يتمكن العلم من الإجابة عليه فيُمكن للفلسفة تناوله، ورغم ذلك فإنّ نتائج التفكير الفلسفي تظل غير موثوقة، لأنّها لا تُؤدي إلى حقائق؛ فالمعرفة الفلسفية التي تقول باستحالة اللانهاية (Infinity) كما زعم أرسطو، ليست معرفةً حقيقيَّةً أو ليست معرفةً صحيحةً، وبالتالي لا يُمكننا الاعتماد على المقولات الفلسفيّة.

وفي الواقع إنّ المقولات الفلسفيّة يجب أن تخضع للمنهج المادي، حتى يتم اختبار صحتها من عدمه. ولهذا يقول البروفيسور لورنس كراوس في إحدى مناظراته: "عندما نلاحظ للنتائج نجد أنّ لها مُسببات، ولكن مع بداية الزمن (أي في الوقت الذي من المحتمل ظهور الزمن فيه) فإنّ السؤال عن المسبّب يُصبح سؤالًا بلا قيمة. يُمكن للفلاسفة أن يتجادلوا ويتناقشوا حوله، ولكن ذلك لا يهم." فالمقولات الفلسفيّة ليست مصدرًا للحقائق.

هشام آدم

س15. ترى أن المجتمع قاسٍ جدًا إذ يضغط علينا بقوةٍ ويتسبب بإحداث تغييراتٍ جذريةٍ في شخصياتنا. ماهي الأمور التي ترى أنها تغيرت في هشام آدم منذ عشرين عامًا مقارنةً بهشام آدم اليوم؟

ج15. التغيير يحدث دائمًا وباستمرار، حتى دون تدخّل المجتمع نفسه. وبالتأكيد هنالك الكثير من التغييرات التي طرأت عليّ منذ عشرين عامًا وحتى اليوم، وهذا التغيير شمل نواحيًا عديدة: على مستوى الوعي، على مستوى المعرفة، على مستوى السلوك والمواقف، على مستوى المعايير الأخلاقيّة، بل حتى على المستوى الوجداني والعاطفي أيضًا. قسوة المجتمع تكمن في تسلطّها على الفرد، وبالتالي تحديد اختياراته وميوله، وحتى إخضاعه لمعايير أخلاقيةٍ محددةٍ لا يُمكنه الخروج عنها بحالٍ من الأحوال.

إنّ فكرة ارتداء البنطلون بالنسبة إلى الأنثى مثلًا، قد تكون في الشرق محل نقاشاتٍ أخلاقيّةٍ عميقةٍ جدًا، في حين أنّ هذا الأمر لا يمثّل أي شيءٍ بالنسبة للمرأة في الغرب. فالمجتمع -في الحقيقة- يتدخل في كثيرٍ من الأحيان في تصرفاتنا وسلوكنا، بل وحتى في تقييمنا لأنفسنا، فالاضطرار للاختباء من أجل ممارسة أمرٍ طبيعيٍّ وإنسانيٍّ كالتقبيل مثلًا، هو نوعٌ من الاعتراف الضمني بوصاية المجتمع على الفرد وعلى سلوكه. وفي كثيرٍ من الحالات أيضًا نجد أنّ بعض المسْلمات غير المحجبات يعترفن بأنّهن مخطئاتٌ بعدم ارتدائهن الحجاب، وأنّهن يطلبن الهداية والتخلص من هذا (الذنب) يومًا ما. هذا الأمر ما هو إلّا نتيجةٌ واضحةٌ من نتائج تسلط المجتمع على الفرد، وتحديد طريقة تفكيره.

ومن هنا تأتي صعوبة الانسلاخ من العادات والتقاليد، لأنّ ذلك يُعتبر مواجهةٌ مباشرةٌ مع المجتمع وسلطته، وربما من أجل هذا السبب تحديدًا يعدل البعض عن مناقشة القضايا الدينيّة، لأنّهم لا يرغبون في التواجه مع سلطة المجتمع.

ومن مظاهر تسلّط المجتمع وقسوته، وقدرته على تغيير سلوكيات وقناعات الأفراد، هو ميل الأفراد إلى اتباع نمطٍ سلوكيٍّ أو حتى تفكيريٍّ محدد؛

إذا كان هذا السلوك أو التفكير هو النمط السائد فرغبة بعض الفتيات في الحصول على أثداءٍ أو أردافٍ كبيرةٍ مثلًا، هو -في حقيقته- انصياعٌ لنمط التفكير المجتمعي السائد، لأنّها إن لم تفعل ذلك فسوف تخرج من المنافسة من أجل الحصول على الشريك، حتى وإن كانت داخليًا مقتنعةً بعدم أهمية هذا الأمر.

هشام آدم

س16. يتعرض الكثير من الملحدين واللادينيين في بلداننا إلى شتّى أنواع الاضطهاد والتضييق -وهو ما اصطلحت حضرتك على تسميته بالإرهاب الناعم- وللأسف أحيانًا للقتل في بعض الحوادث. ما رأيك بالإجهار بالأفكار والتوجهات ممن يقطنون في الشرق؟ ما إيجابيات تلك الخطوة وهل هذا مجدٍ فعلًا أم أنه مجرد مجابهةٍ عقيمةٍ مع مجتمعٍ متشربٍ للدين في كلّ تفاصيل حياته؟

ج16. أنا شخصيًا عندما كنتُ في المملكة العربية السعوديّة كنت أكتب وأنشر مقالاتي في نقد الإسلام باسمي الحقيقي، وصورتي الحقيقيّة. ولكنني الآن أعترف أنّني كنتُ متهورًا في ذلك. في هذا العصر الذي نعيش فيه، عصر الإنترنت، والفضائيات، عصر تدفق المعلومات، وسهولة الحصول عليها، لم يعد من الضروري نشر الأفكار المخالفة، والمواجهة المباشرة مع المجتمع، لأنّه أصبح من الممكن الآن للجميع الحصول على المعرفة بأبسط الوسائل. إنّ فكرة تغيير المجتمع بشكلٍ مباشرٍ عبر التصادم معه، كانت ضرورةً مُلحةً في الوقت الذي كانت فيه المعرفة شحيحةً، ومصادر المعرفة محدودةٌ أو تكاد تكون معدومة، فكان على المثقف أن يتصادم مباشرةً مع المجتمع، عبر نشر أفكاره وآرائه ومناقشتها علنًا، لأنّه إن لم يفعل ذلك، وقرّر السكوت أو مغادرة البلاد فإنّ الأمر في مجتمعه سيظل على حاله، ولن يتغير شيء، لأنّه لا توجد مصادر معرفةٍ أخرى تتيح لأفراد هذا المجتمع أن يحصلوا على أفكارٍ جديدةٍ ومغايرةٍ عن التي يتداولونها.

هذا الأمر لم يعد لازمًا وضروريًا الآن. إضافةً إلى أنّه لا شيء أكثر قيمةً من حياة الإنسان نفسه، ولهذا فإنّ الإنسان صاحب الرسالة، إن كان حريصًا على إيصال رسالته إلى أكبر عددٍ ممكنٍ من الناس، فإنّه يجب عليه من بابٍ أولى أن يحرص على حياته، حتى يتمكن من إيصال هذه الرسالة، لأنّ موته سوف يحول دون ذلك. إنّ مناقشة المعتقدات والأفكار الدينيّة هي من أصعب المناقشات على الإطلاق، ومن الصعوبة بمكانٍ تغيير هذه القناعات، ولكن الأمر ليس مستحيلًا أيضًا. وأزعم أنّ تيارات التجديد الديني الآن، بكافة اتجاهاتها، هي نتاجٌ طبيعيٌ لهذه الأفكار، والجدالات حول المعتقدات الدينيّة. ولولا هذا الحراك والعصف الذهني الذي ولّده نقد الدين، لما سمعنا أحدًا يُنادي بتجديد الإسلام أو إصلاح خطابه الديني.

س17. نجح المسلمون برأيك بالفعل برسم فارقٍ بين الإسلام كدينٍ وبين التطرف كأيدلوجيا؛ ومن ثم التهجم على كل من يحاول تصوير الإسلام كدينٍ إرهابي. إلى متى سيصمد هذا الفكر وهل من مصلحتنا التماشي مع هذه الادعاءات طالما كلانا لديه هدفٌ مشتركٌ ألا وهو القضاء على الفكر الإرهابي التكفيري أم أن الأنجع هو محاربة السبب لا النتيجة؟

ج17. موقفي ممن أسميهم (المسلمون الجدد) موقفٌ شديد الوضوح. فأنا ليست لديّ مشكلةٌ مع أفكارهم السلميّة. إشكالي الأساسي هو مع محاولات ربط هذه الأفكار السلميّة بدينهم أو معتقداتهم. إنّ الأمر هنا له علاقةٌ بالاتساق. ولهذا أيضًا نتخذ موقفًا رافضًا من دعاة الإعجاز العلمي سواء في القرآن أو في الإنجيل،

فأي ضررٍ قد يُصيبنا نحن كمُلحدين إذا ادعى أحدهم أنّ كتابه المقدس يحتوي على معلومات علميّة؟ لا ضررٌ ماديٌ قد يقع على الإطلاق، ولكننا رغم ذلك نرفض هذا الأمر، لأنّه تدليسٌ وكذب. لا يُمكننا التغاضي عن ادعاءات دعاة الإعجاز العلمي بذريعة أنّه من الجيّد أن يعترف المتدينون بالعِلم مثلًا أو أنّ ذلك قد يكون مفيدًا في سبيل الارتقاء بطريقة تفكيرهم، ووعدًا بانتشار التفكير العلمي بينهم يومًا ما. النوايا السلميّة ليست مبررًا لقبول التدليس أبدًا. ما يُسمّى بالكتب المقدسة لا يمكن أن تكون مرجعًا أخلاقيًا أو علميًا أو اجتماعيًا بأي حالٍ من الأحوال، وأيًا كانت المسوغات، فإنّه لا يُمكن القبول بالتدليس لتمرير هذه المسوغات، وإلّا فإنّ ذلك سوف يعني تغييب الوعي، وتزييفه، والقبول بذلك طواعيةً. وفي هذا الصدد فأنا أدعو الجميع إلى اقتناء وقراءة كتابي الجديد (المسلمون الجدد: في نقد الإسلام المعتدل) الصادر عن دار (سطور للطباعة والنشر) بالعراق، ويمكن شراء الكتاب إلكترونيًا من موقع النيل والفرات، وكذلك من موقع الجملون الإلكتروني.

س18. توجه الفن مؤخرًا بشكلٍ كثيف وخاصةً الدراما إلى مواجهة الفكر الإرهابي المتطرف عبر إنتاج أعمالٍ فنيةٍ موجهةٍ لهذا الغرض، وقد دأبت جميعها على تبرئة الدين الإسلامي بالطبع من كل النتائج التي وصلنا إليها في بلداننا. أولًا بحال تابعت أيًا من هذه الأعمال ما رأيك بها وهل هناك إمكانيةٌ للتعويل عليها لإحداث أي تغييرٍ أو توعيةٍ وتنوير؟

ج18. الفن عمومًا له وظيفتان: الإمتاع، والإدهاش، كما ذكرنا من قبل. ولا يُمكن للأعمال الدرامية أو الأعمال السينمائية أن تُحدث تغييرًا جذريًا في أي مجتمعٍ على المدى القصير. والسبب في ذلك أنّ المتلقي العربي يتعامل مع الفن للتسلية، وثمّة فارقٌ كبيرٌ بين المتعة والتسلية بطبيعة الحال. ولهذا ورغم حرص الدراما والسينما المصريّة -على سبيل المثال- على

تناول موضوع التحرش الجنسي ومحاربته، فإنّ ذلك لم يُغيّر من الوضع شيئًا، فما زالت ظاهرة التحرش الجنسي منتشرةً في مصر حتى الآن. وكذلك تناول الدراما والسينما المصرية لظاهرة غلاء المهور أو تَسلّط رجال المال والأعمال أو ظاهرة (البلطجة) أو ظاهرة العشوائيات وغيرها من الظواهر، فإنّها أيضًا لم تغيّر من واقع الأمر شيئًا. والحقيقة إنّ المسلمين ليسوا بحاجةٍ إلى مثل هذه الرسائل الدراميّة حتى يصلوا إلى نتيجة أنّ الإسلام بريءٌ من تهمة الإرهاب، فهذه المعلومة موجودةٌ ومكرّسةٌ في أذهانهم أصلًا، وأعتقد أنّ رسالة مثل هذه الأعمال الفنيّة ليس المقصود بها المتلقي المسلم، بل المتلقي غير المسلم في المقام الأول.

هشام آدم

س19. هل تتابع نشاطات الملحدين واللادينيين العرب على مواقع التواصل وما رأيك بها؟

ج19. الحقيقة أنّني غير متابعٍ لنشاطاتهم بشكلٍ لصيق، ليس لشيءٍ ولكن لأنّني ضد فكرة التحزّب والتكتل، وأرفض أن أكون جزءًا من هذا الحراك المؤسس، فلا شيء يجمع الملحدين سوى فكرةٍ واحدةٍ فقط، وهي فكرة (عدم الإيمان بوجود الله)، وفي غير هذه النقطة فإنّهم مختلفون تمامًا في كل شيءٍ تقريبًا. وهذا أمرٌ طبيعي جدًا، ولكن في المقابل، فأنا شخصيًا لستُ مقتنعًا بضرورة تحزب أي مجموعةٍ لمجرد أن أفرادها اتفقوا على فكرةٍ ما أو تشاركوا هذه الفكرة (مهما كانت أهميتها)، إلّا أن تكون هذه الفكرة خدميّةً مثلًا أو تتطلب التعاون، والعمل الجماعي لإنجازه. ورغم أنّني كنت من مؤسسي "رابطة الملحدين السودانيين" على (الفيسبوك) في العام 2009، وهي (حسب علمي) أول مجموعةٍ للملحدين السودانيين على الفيسبوك، إلّا أنّني توقفتُ منذ فترةٍ طويلةٍ عن المشاركة في هذه المجموعة أو حتى الاهتمام بها، وهي الآن متوقفةٌ تمامًا. أمّا بالنسبة لمجموعات الملحدين واللادينين ففي أغلبها تضم مجموعةً من مُدعي الإلحاد، الذين لا يفعلون شيئًا سوى السخرية من الأديان.

كما أنّني في الأساس معترضٌ على ادماج اللادينيين الربوبيين في بوتقةٍ واحدةٍ مع الملحدين، وهذا ما ساعد على إعطاء صورةٍ نمطيةٍ مغلوطةٍ عن الإلحاد، فقد أصبح الإلحاد نقيضًا للدين، في حين أنّ الإلحاد -في حقيقته- نقيضٌ للإيمان وليس الدين. وبطبيعة الحال، فأنا لستُ ضد نقد الأديان أو حتى السخرية منها، ولكن لا يجب تنميط الإلحاد في هذا المسار الذي قد يتعاطى معه اللادينيون الربوبيون، وحتى بعض الدينيين، كالمسيحيين مثلًا. نقد الأديان هو مجهودٌ أو عملٌ فردي، وليس مجهودًا جماعيًا مؤسسًا. فنقد الملحد للأديان لا يُمكن أن يتم تصويره على اعتبار أنّه الهدف الأساسي من الإلحاد، بل يجب أن يظل الأمر في إطار الاهتمامات الشخصيّة، تمامًا كما لو كان هنالك ملحدٌ مهتّم بالرياضة أو السياسة. المجموعات الإلحاديّة يجب أن تُناقش بشكلٍ أساسيٍّ قضايا إلحاديّة، وليس قضايا دينيّة.

وعلى هذا فإنّ المنتسب إلى مجموعةٍ إلحاديةٍ يجب أن يرى اهتمام الملحدين من الموضوعات التي يطرقونها، وبما أنّ القضيّة الأساسيّة في الإلحاد هي: قضية وجود أو عدم وجود الخالق أو الله، فكان من المتوقع أن تكون موضوعات المجموعات الإلحاديّة منصبّةً على هذه القضيّة، بالإضافة إلى القضايا العلمية والفلسفيّة، أمّا التركيز على نقد الأديان فهذا هو، تحديدًا، ما جعل المتدينين لا يُفرّقون بين اللادينية والإلحاد، لأنّهم يرون الملحدين في تجمعاتهم لا يُناقشون سوى موضوع الدين.

وأزعم أنّ وجود مدعي الإلحاد من اللادينيين الربوبيين هو السبب وراء اشتهار المجموعات الإلحاديّة بالمهاترات، والتراشقات الكلاميّة.

هشام آدم

س20. هل من جديدٍ تَعِدنا به؟ وأي شاطئ أفكارٍ ستغزو هذه المرة؟

ج20. لديَّ عددٌ من المشاريع المعلَّقة، فأنا بصدد كتابة مؤلفٍ بعنوان (عندما أخطأ الأستاذ)، وهو يتناول نقدًا للفكرة الجمهوريّة، والفكرة الجمهوريّة هي من الأفكار الدينيّة التي أسسها ودعا إليها محمود محمّد طه في العام 1945. ومحمود محمّد طه ناشطٌ سياسيٌ ومفكرٌ سوداني، تم إعدامه في العام 1986 على يد الرئيس السوداني الأسبق جعفر نميري، بسبب فكرته الجمهوريّة.

زعم محمود محمّد طه في فكرته هذه أنّ الإسلام رسالتان: رسالةٌ مكيّة، وهي جوهر الإسلام الحقيقي الذي يجب بعثه من جديد، ورسالةٌ مدنيّة، وهي مجرّد تشريعاتٍ لأهل ذلك الزمان، وأنّ المسلمين ليسوا مطالبين بتطبيقها في هذا العصر أبدًا، كما زعم بأنّ نسخ الآيات والسور المكيّة لا يعني الإلغاء، بل التأجيل والإرجاء، وله أفكارٌ كثيرةٌ لا يُمكن طرحها جميعًا في هذا المقام. كما أنّ هنالك مشروع كتابٍ آخر بعنوان (ما لا يُقال عن الطيب صالح) وهي دراسةٌ نقديّةٌ في أدب الطيب صالح، وكذلك كتابٌ آخر بعنوان (رسائلٌ في الأدب) وهي عبارةٌ عن مؤلفٍ يشمل جميع الأفكار النقديّة التي أحاول إيصالها، بالإضافة إلى طرح أفكارٍ ونظرياتٍ نقديّةٍ جديدة.

س21. هل كانت لك معرفةٌ سابقةٌ بمجلتنا مجلة الملحدين العرب، وكيف عرفت بها؟

ج21. الحقيقة لم أعرف بوجود (مجلة الملحدين العرب) إلَّا منذ وقتٍ قريب، عن طريقة صديقة الفيسبوك: سناء حسين (Sanaa Hussein)، وبفضلها تابعت بعض الأعداد السابقة. وربما تكون هذه مناسبةٌ جيدةٌ للإشادة بالجهد المقدر والواضح الذي تبذله أسرة تحرير المجلة في تقديمها على هذا النحو اللائق والجيد والممتع في الوقت ذاته، فلهم كل الشكر والتقدير على ذلك. وأقترح مستقبلًا أن تشتمل المجلة على لقاءاتٍ صحفيّةٍ مع بعض الشخصيّات العالمية الملحدة، أمثال: ريتشارد دوكنز، ولورنس كراوس، وسام هارس، ودانيال دينيت، وستفين هوكينج وغيرهم، لأنّ ذلك من شأنه أن يُثري المجلة إلى الحد البعيد، ولا شك أنّه سيكون سبقًا كبيرًا للمجلة.

قام باللقاء : شوكت كريمي وAlia'a Damascéne

www.facebook.com/groups/arbangroup

سيرة
محمد بن آمنة

الحلقة الثالثة: الرضاعة

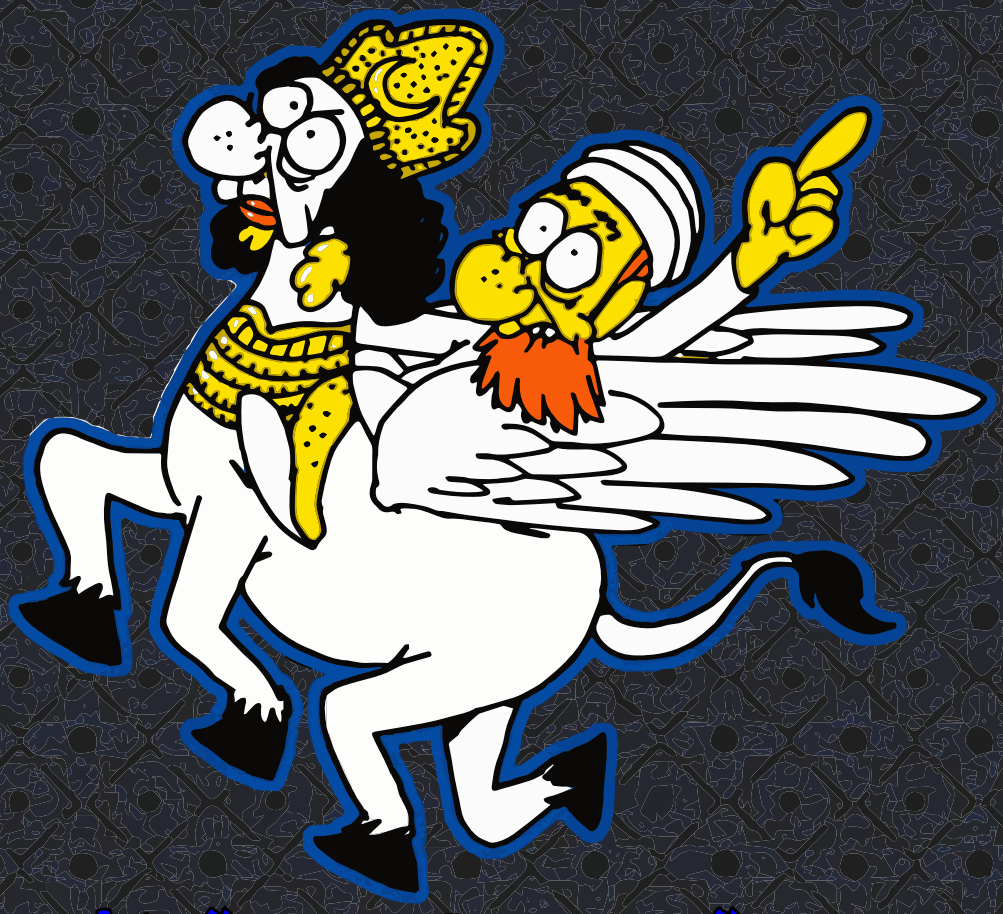

ترجمة عن الفرنسية لكتاب

LA VIE DE MAHOMET

ساهم في ترجمة هذه الحلقة:

الشيخ دبكارت — Ayman Pheidias

Alia'a Damascène

الرضاعة

كانت قبيلة قريش تترك مهمة إرضاع مواليدها من الذكور لأمهات بدويات، حتى ينموا بصحّة جيدة، بعيدًا عن الأمراض المنتشرة في القبيلة، وحتى يتعلموا الفصاحة من عرب الصحراء

في البداية، أرضعت محمدًا جارية عند عمه أبي لهب أسمها ثويبة
ثم توالى على إرضاعه عدّة نساء حتى بلغ عددهن عشرة!
لكنّ محمدًا لم يبقَ معهن طويلاً كما بقي مع حليمة السعدية، لأنها كانت من قبيلة بني سعد المعروفة بجودة المرضعات[1]

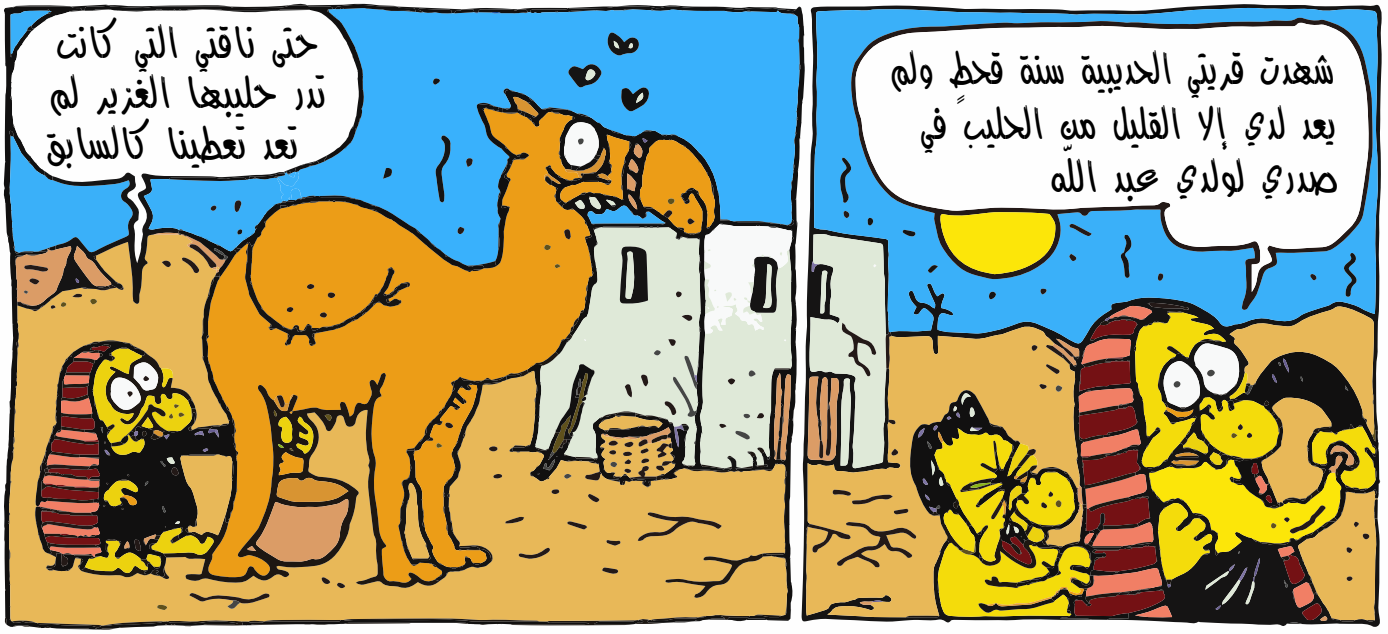
شهدت قريتي الحديبية سنة قحطٍ ولم يعد لدي إلا القليل من الحليبٍ في صدري لولدي عبد اللّه
حتى ناقتي التي كانت تدر حليبها الغزير لم تعد تعطينا كالسابق

لم يبقَ أمامنا أنا وجاراتي سوى أن نذهب إلى مكة لنعرض على الأمهات إرضاع أطفالهن مقابل أجر
عُرض محمد على كل مرضعات بني سعد لكنهن رفضن إرضاعه عندما عرفن أنه يتيم
نحن نخشى أن لا يكون جدّه وجدّته كُرماء كما يكون الأب والأم
وحين انتهى يومنا في مكة، كانت كل النساء قد أخذن طفلا كي ترضعه، إلاّ أنا!
لم أرغب بالعودة خالية الوفاض، فرجعت لرؤية عائلته..
كان مغطىً بثوب من الصوف أبيض اللون كالحليب، وكان ينام على ظهره فوق قماش أخضر، وتفوح منه رائحة المسك
وضعت يدي على صدره فابتسم وفتح عيناه فخرج منهما نورٌ ساطعٌ بلغ السماء

حين كانت حليمة ترضع أبنها
قبل ذلك، لاحظت أن ثديًا
واحدًا فقط كان
يدر الحليب
لكن ما أن بدأت في إرضاع
محمد حتى صار حليبها
مدرارًا من كلا الثديين،
وطيلة سنتي الرضاعة
لكن أبن عبدالمطلب
لم يكن يلتقم إلّا
الثدي الأيمن
لمرضعته

البركة
ثم مالبثت أن لاحظت حليمة وزوجها الحارث
البركة المنهمرة عليهما، حتى ناقتها
ونعجتها البائسة صارتا تدران الحليب
والجبن بشكل معجز

روت حليمة أنه في أحد الأيام، بينما كان محمدًا جالسًا في
حضنها، تركت شاةٌ القطيع وجاءت كي
تلقي عليه التحية![2]
كما روت أنّ ضوءًا غريبًا كان
يُنير جسد محمد كل يوم وكأنه
شعاعٌ من الشمس خلال
الشفق[3]

عند وصول محمد للقرية، فاحت رائحة المسك في كل مكان وداخل بيوت الناس، وأحبه الناس كثيرًا لدرجة أن المريض منهم كان يضع يد الطفل محمد على مكان الألم فيُشفى مباشرة، حتى أنه كان يشفي ماشيتهم السقيمة أيضًا بنفس الطريقة(4)
في يوم من الأيام، وجدت حليمة محمدًا مع ابنتها شيماء، فصاحت بها:
لماذا تُخرجيه في هذا الحر الشديد؟
لا تقلقي يا أمّاه!
محمد لا يشعر بالحر أبدا، فقد رأيت سحابةً فوق رأسه تتبعه أينما حل وارتحل، إن مشى تمشي وإن توقف تتوقف(5)

(1). **مرضعات محمد:**

يقال إنه صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمانيةٍ من النساء، وقيل من عشرةٍ بزيادة: خولة بنت المنذر، وأم أيمن عزيزة قالت: أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة: أي بعد إرضاع أمه له كما سيأتي، قال: وثويبة هي جارية عمه أبي لهب، وقد أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم: أي فإنها قالت له: أما شعرت أن آمنة ولدت ولدًا. وفي لفظ غلامًا لأخيك عبد الله، فقال لها: أنت حُرّة.

نقلًا عن **السيرة الحلبية-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، علي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1427 هـ الجزء (1)، الصفحة (124).

(2). **الشاة تلقي التحية على محمد:**

قالت حليمة: فلما بلغ صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهرٍ كان يتكلم بحيث يُسمَع كلامه، ولمّا بلغ تسعة أشهرٍ كان يتكلم الكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهرٍ كان يرمي السهام مع الصبيان. وعنها رضي الله تعالى عنها أنها قالت: إنه لفي حجري ذات يومٍ إذ مرت به غنيماتي، فأقبلت واحدةٌ منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت إلى صواحبها

نقلًا عن **السيرة الحلبية-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، علي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1427 هـ الجزء (1)، باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به، الجزء (1)، الصفحة (133).

(3). **حليمة تتحدث عن نورٍ يشع من محمد:**

قالت حليمة: وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كل يومٍ نورٌ كنور الشمس ثم ينجلي عنه.

نقلًا عن **السيرة الحلبية-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، علي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1427 هـ الجزء (1)، باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به، الجزء (1)، الصفحة (134).

(4). **قدرة الطفل محمد على الشفاء:**

وعن حليمة رضي الله عنها «لما دخلت به صلى الله عليه وسلم إلى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد إلا شممنا منه ريح المسك، وأُلقيت محبته صلى الله عليه وسلم: أي واعتقاد بركته في قلوب الناس، حتى إنّ أحدهم كان إذا نزل به أذًى في جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الأذى فيبرأ بإذن الله تعالى سريعًا. وكذلك إذا اعتل لهم بعيرٌ أو شاةٌ انتهى.

نقلًا عن **السيرة الحلبية-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، علي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1427 هـ الجزء (1)، باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به، الجزء (1)، الصفحة (135).

(5). **سحابة شخصية تقي محمدًا من الحر:**

وعن حليمة رضي الله تعالى عنها: أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه أن يذهب مكانًا بعيدًا: أي عنها، فغفلت عنه صلى الله عليه وسلم يومًا في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته أي من الرضاعة وهي الشيماء، وكانت تحضنه مع أمها أي ولذلك تدعى أمّ النبي أيضًا أي وكانت ترقصه بقولها:

هذا أخٌ لي لم تلده أمي... وليس من نسل أبي وعمي

فأنمه اللهم فيما تنمي،

فقالت في هذا الحر: أي لا ينبغي أن يكون في هذا الحر، فقالت أخته: يا أمه ما وجد أخي حرًا، رأيت غمامةً تظلّ عليه، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع، فجعلت تقول: أحقًا يا بنية؟ قالت: إي والله، فجعلت تقول: أعوذ بالله من شرّ ما يحذر على ابني: أي وفي كلام بعضهم: ورأت يعني حليمة الغمامة تظله، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت.

نقلًا عن **السيرة الحلبية-إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، علي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1427 هـ الجزء (1)، باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به، الجزء (1)، الصفحة (150).

CHARLIE HEBDO

مجلة توثيقية علمية إلحادية

شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء

هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر

موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة الملحدين العرب

معاً نحو مستقبل منير

http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine

https://www.aamagazine.blogspot.com

https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299

https://issuu.com/928738

رسومات دينية ساخرة

غير مناسبة لذوي المشاعر الدينية المرهفة

www.facebook.com/M-80-II-941772382615672

رواية فاتنة

سام مار

رواية فاتنة تحكي قصة شخصيات مميزة بأسلوب مختلف عن المعتاد في الروايات. تبدأ الرواية بمشاهد حوارات تلقي الضوء على تعامل الشخصيات مع مواضيع يومية. إلى أن تتحول إلى خليط فريد من الأحداث يتخذ طابعًا روائيًا. ستتعرف على عالم آخر، بل على عالمك نفسه من منظور آخر. اختر من تكون وأين، وغيّر التاريخ في المستقبل القريب، تشرَّد في أزقة حيّ الرماد الموحلة مع سالم الصغير، أو خض حربًا ضروس إلى جانب الزير المهلهل وتفنن في الانتقام من الذين يرتكبون خطأ مواجهتك، تحدى الخنزير الأكبر وليد ومساعده الدنيء يوسف، تعرّف إلى امرأة تعيش قصة حبٍّ مع ملاك الموت اسمها دليله، أو كن فتاةً بارعة الجمال وأثره في مختلف المجتمعات مع فاتنة، واكتشف كيف يغيّر الحب الطاغية!

سام مار

تنهض فاتنة وتغادر تاركةً ستيف مشدوهًا، فهو لم يعتد على الرفض خصوصًا بهذه القوة، فقد كان يقف كل يوم أمام المرآة مشدوهًا بوسامته وكمال جسده، الذي لم تبدي فاتنة أي اهتمامٍ به منذ اليوم الأول.
يصل جميل لزيارة فاتنة وكانت قد اتصلت به في السابق وأثنت على رسالته، لكن جميل .هذه المرة يبدو مُترددًا
جميل: لا أعرف قد أكون حالمًا ...ربما أُسلوب والدي هو الناجع لحكم ذلك الجزء من العالم.

فاتنة: الخلاف بينكما على شيءٍ واحد.

جميل: ما هو؟

فاتنة: أجبني ...ما هو الشيء الذي يولد معنا وإذا كبر معنا لا نشعر بقيمته إلا إذا سُلب منا، وعندها نحبه بينما أن أُخذ منا عند ولادتنا نكرهه. إذا سرقناه من الآخرين خسرناه وإن أعطيناه جميعنا كسبناه؟

جميل: الحرية؟

فاتنة: أعشق سرعة بديهتك!

جميل: لا تقارن بسرعة بديهتك، لكن الخلاف مع والدي أكبر من ذلك.

فاتنة: لا، سترى.

جميل: كيف تعرفين؟

فاتنة: والدك لا يرى الحقيقة أن الشعب يكره الحرية لأنها سُرقت منه وأنه يفتقدها لأن الفرد يسرق حرية غيره. لو تم إقناعهم بحب الحرية سيتوقفون عن سرقتها وبالتالي سيعيش الجميع أحرارًا.

جميل: مفهوم الحرية معقد يا فاتنة، أحيانًا أتساءل هل الغرب أحرار كشعب؟ ألا ترين أنهم مقيدون أكثر منا بنظام صارم؟ أليست هذه دكتاتورية في حد ذاتها؟

فاتنة: الشعوب في الغرب بشكل عام مقيدون بقواعد النظام العلماني التي لكل منها نفع للمجتمع، والقواعد تسري على الجميع. هذا تنظيم للمجتمع وليس تقييدًا للفرد، لا أراه نظاماً كاملًا لكنه منطقي إلى حد ما.

سام مار

الدكتاتورية هي أن تكون مقيدًا فلا تستطيع انتقاد فكرة بل تعيش وفق قواعد وُضعت لتدعيم حكم الدكتاتور وحاشية الدكتاتور وأصدقاء الدكتاتور ووعاظ الدكتاتور، فتسري تلك القواعد على أشخاص ولا تسري على غيرهم. المشكلة أن وجود الفساد بهذا الشكل يُجبر الناس على الفوضى في جميع مجالات حياتهم ويُجبر الضعيف على الاستنجاد بأصحاب القوة، فالضعيف مُستعبد لسلطات الأرض والسماء، يُفسر وعاظ الدكتاتور الدين ضده، ويُفسر القضاة القانون ضده، فيتمسك بقصص الماضي والتاريخ الزائف عندما كان الخليفة يتمشى في الشوارع وينصر المظلوم، متناسيًا أن نفس الخليفة كان يبطش بمن لا يعجبه لأتفه الأسباب.

يجب أن يفهم الجميع الحقيقة، يجب أن يعرفوا من كان هؤلاء الخلفاء القدماء، ليعرفوا أنهم عادوا تحت مسمى الرؤساء، ولا علاقة للعلمانية بكل تلك الأنظمة التي تدّعيها. الخلفاء كانوا مثل رؤساء وأقرب مثال هو الخليفة معاوية، أو كانوا أسوأ كأُمراء جتعشكم ومثال عليه هارون الرشيد. جميل؟

جميل: أجل أكملي، أكملي.

فاتنة: يحضرني مقطع كتاب القصيمي الذي أخبرني عنه الدكتور أسعد وشاركتك به سابقًا، أتمنى لو يقرؤه كل عربي، اسمعه مرة أُخرى (تقرأ فاتنة من هاتفها) :
«إني أخاف مجيء هارون الرشيد الجديد لأني قرأت عن هارون الرشيد القديم. كان يقاتل بآبائي ويقاتلهم بالسيوف والرماح والسهام والنبال. كان ينفق قوت آبائي على الجواري والشعراء والمغنين. كان يعرض ذاته وهيبته ووحشيته وكبرياءه فوق المنبر وفي المسجد وفي مواكبه البدوية المنطلقة من القصر إلى المصلّى، ومن المصلى إلى القصر، ومن هذا القصر إلى ذلك القصر، ومن مخدع هذه الجارية إلى مخدع الجارية المنافسة الآخرى. كان يحارب ذكاء آبائي وحرياتهم بالمشايخ وبالآيات والأحاديث، وبالأنبياء، وبالسلف، وبالقبور.» تذكره؟

جميل: أذكره تمامًا، استشهدتُ بشيء يشبهه في حديثي مع والدي مع أمثلةٍ أُخرى، فكما ذكرتي ليس هارون الرشيد فقط كان هكذا.

فاتنة: جميل.

جميل: أجل؟

فاتنة: أقصد جميل أنك ترى الأمور هكذا أيضًا :)

سام مار

تعود دليله إلى البيت وهي تنتحب بكاءً. هبه التي رفضت الانتقال للعيش معهم لفترة مؤقتة وأصرت على البقاء في المنزل الذي استُغلت فيه لم تجد في الانتقام ضالتها المنشودة. فعندما ذهبت دليله لزيارتها وجدتها جثةً معلقةً من سقف المنزل. سنوات العذاب والاستغلال لم تترك لديها أي إرادةٍ تذكر لتواجه الحياة، وخصوصًا تحمِّل مسؤولية جلبِ طفلٍ إلى هذا العالم. لقد انتحرت هبه مع الطفل في أحشائها. دليله لم تستطع إلا أن تلوم نفسها، فلقد زاد هذا الأمر هلعها من آلية الانتقام التي اعتادت عليها مع سالم. ما زاد خوفها هو ردة فعل المهلهل عندما أخبرته بما حدث.

المهلهل: هل اتصلتِ بالشرطة؟

دليله: أجل.

المهلهل: هل بحثتِ في المنزل عن أي أثر لرسالة أو ما شابه قبل أن تفعلي ذلك؟

دليله: لا.

المهلهل: ما بكِ يا دليله هل فقدتِ عقلك؟

دليله: ماذا تقصد؟

المهلهل: عندما ينتحر الضعفاء في العادة يتركون رسالة، فهم يظنون أن العالم سيقف عند لحظة انتحارهم ليَفهم مشاعرهم، لعلها تركت رسالة تروي فيها قصة موت الشيخ عدنان وصديقه وتورطني.

دليله: لا يا سالم هي انتحرت لأنها أرادت الهروب. أعرف من كلامي معها بعد ما حدث أنها كانت مدينة لك ولكن الانتقام تركها في حيرة. ربما الانتقام ليس حلًا لشيء، ربما علينا إعادة النظر في تفكيرنا.

المهلهل: كنت أظنك تعرفين ...

دليله: أعرف ماذا؟

المهلهل: لا شيء، فقط فكري جيدًا ماذا ستقولين للشرطة إذا عاودوا الاتصال بك حتى لا نتورط.

دليله: لا تخف لستُ غبية، لقد أخذوا إفادتي ولسنا موضع شك فدلائل الانتحار واضحة

سام مار

المهلهل: فكري قبل أن تتصرفي في المرة القادمة.

دليله: سالم لقد رأيتُ جثة طفلة وجنينها في بطنها. طفلة كبرتْ معي وقد كنتُ أتمنى لها الخير طوال حياتي...فقدتُ أعصابي وتسرعت أنا آسفة.

المهلهل: لا يوجد عذر.

دليله: لا أرجوك، أنا آسفة! ثم ما هو الشيء الذي لا أعرفه؟

المهلهل: أنا.

دليله: اشرح لي.

المهلهل: لقد خيبتِ ظني يا دليله ...كنت أظنك تعرفينني وتحبينني كما أنا، والآن عرفت أنك لا تعرفينني بل وتريدين تغييري.

دليله: لا ليس صحيحًا.

المهلهل بغضب: لا تكذبي!

دليله: سالم أنا فقط أريد الخير لك.

المهلهل: إذا كان الخير أن أصبح شخصًا آخر فلا أريده!

دليله: قل من أنت.

المهلهل: انا الزير المهلهل!

دليله: وأنت أيضًا سالم البريء.

المهلهل: هل تعرفين لماذا أعيش؟

سام مار

دليله: لماذا؟

المهلهل: لأشعر بتلك اللحظات عندما كنتُ طفلًا سعيدًا تحت حماية مايكل الوحش...عندما كنتُ أنتظر لأكبر فأجد الحب مثله...ونُدير عصابة في الغرب.

دليله: مايكل مات يا سالم.

المهلهل: لكنه يعود كلما رأيت تلك النظرة في عيون معاذ قلب الأسد قبل أن أقتلعهما! نفس النظرة كانت في عيني الشيخ عدنان...نظرة رعب الرجل الخسيس من العدل القادم! عندما يرحل رجل مثلهم من العالم ...يعود مايكل الوحش ...لفترة، إلى أن يظهر معاذ آخر.

دليله: سالم أنا أحبك وأنت وصلت مركزًا عاليًا مع النماريد، لو كان مايكل حيًا لكان فخورًا بك، كما أنك اقتصصت له...ألا يكفيك كل ذلك وحبي؟

المهلهل: الحب الذي أعرفه ...ليس فيه ورود وغروب شمس على شاطئٍ منزوٍ.

دليله: أعرف...لكنني أحبك.

المهلهل: تُحبين رجلًا يتحرك قلبه عند لحظة التقاء مخالب النمر وفكّه مع الغزال؟ ففي تلك اللحظة يمارسان الحب في نظري.

دليله: أجل، أحب ذلك الرجل!

المهلهل: إذًا افهمي أن النمر لا يستطيع العيش على أكل العشب يا دليله!

سام مار

يصل رد السيد رفيق على رسالة ابنه جميل كالتالي:

كنت أتمنى يا جميل لو استطعت الرد على رسالتك دون أن أُجبر على إبلاغك بأنها رغم تنميق كلماتها وتسلسل أفكارها لا تعدو أن تكون مجموعة مثالياتٍ ساذجة في عالم السياسة.

أولًا أنت تتعامل مع الدين ورجال الدين كعدو، وكأنك لم تنتبه أن أنظمة الحكم العربية الجديدة - أي بعد الاستعمار الغربي في القرن الماضي- قامت كلها على تلك الركيزة. الدين هو الوسيلة الأسلم والأفضل لحكم الشرق، سواء بطريقة مباشرة مثل ما تفعل الأحزاب الدينية أو بشكل غير مباشر عبر الخلط بين بعض المفاهيم العلمانية مع إبقاء الدين في التعليم والدستور. يبدو أنك تظن أن الدين يحدد من صلاحياتك كحاكم بسبب النصوص، بينما الحقيقة هي العكس تمامًا، فالنصوص موجودة لخدمتك تُبطل منها ما تشاء وتُحكِمُ ما تشاء. كحاكم، تستطيع أن تُبطل عدم الاستجارة بالغرب وتحكم بالقصاص جزاءً للخروج على ولي الأمر، أو إذا أردت أن تظهر متحضرًا تُبطل قطع يد السارق بينما تحكم بإعدام مثيري الفتنة. هذه الأمور مجربة، وإشارتك إلى انتشار المتنورين في المجتمع ما هي إلا تأكيد على عدم إدراكك لأساسيات الحكم. الحاكم هو من يملك القوة، وليس إرادة الشعب، حتى في الغرب الحاكم هو من رضي به أصحاب رأس المال ففرضوه على الشعب عن طريق الإعلام. القوة تختلف شكلًا من مجتمعٍ لآخر لكنها دائمًا الركيزة الأساسية في الحكم، والدين هو الرابط والموجِّه لتلك القوة في الشرق. حتى لو تمكّنت من أخذ الحكم بتصريحاتٍ ساذجة فذلك سيكون راجعًا لسيطرتنا على الجيش وليس منطقك وإقناعك. سرعان ما سيستغل أحدهم الدين ضدك وتنتهي سجينًا أو أسوأ. على مستوى العلاقات العادية يا جميل لا يجب إظهار مشاعرك ونواياك الحقيقية أبدًا، فما بالك في السياسة؟ إذا كان تشرشل الذي ما زال يعتبر بطلًا في تاريخ بلاده يقول أن السياسة هي فن الكذب، فكيف تظن أنك ستُعيد اختراع العَجَلة وتأتي بشيء جديد في مجال لا جديد فيه منذ القدم؟ سأعطيك فرصة أُخرى، أريد خطة عملية لإحكام قبضتك على البلاد ونشر نظامك الحالم فيها، وأريد أن تطلعني على تصريحاتك المزمعة قبل أن تبدأ بالإدلاء بها. أطروحاتك إلى الآن لم تقنعني سوى بأنك تتقن كتابة مواضيع الإنشاء.

سام مار

فصول الماضي- أخبار الملك نمرود

في أحد بلدان المغرب العربي
استنار وجه أبو المِلك، الذي جاوز الخامسة والأربعين من عمره، عندما أخبرته الممرضة أن المولود بصحة جيدة. بابتسامة عريضة رفع عينيه إلى السماء وحمد الله على استجابة دعائه بعد كل هذه السنوات. كان يُكنّى أبا الملك لكن لم يكن لديه أولاد قبل اليوم، فكان يطلب أن يُدعى بذلك تفاؤلاً. لقد انتظر طفلًا طوال حياته، ورغم أن هذا الطفل جاء بطريقة غير المعتاد، إلا أن فرحة أبو الملك كانت أكبر من أن يعكّرها ذلك. بعد ذلك، اكتملت فرحته بإجراء تحليل الحمض النووي الذي أكد أبوته!

التقى ابو المِلك بالأُم وهي تعرض نفسها في أحد الشوارع قبل عامين فقط. بعد قضاء ليلة معها ورغم نظرته الدونية لبائعات اللذة فقد رقّ قلبه إلى تلك الفتاة ذات العشرين شتاءً التي استُعبدت في هذا العمل، فقرر دفع المال «للقواد» لشرائها والزواج منها. زوجته الأولى لم تعارض بشرط ألّا تسكنا معًا، فلطالما لامت نفسها على عدم الإنجاب، وهي تعرف أن ذلك القطار فاتها منذ مدة. أبو الملك كان يملك دكانًا بجانب بيته ومخبزًا في الطرف الآخر من الحي، ويعتبر من الطبقة فوق المتوسطة في بلده.

هكذا نشأ مَلِك مدللًا نسبيًا من والده، إلا أن ذلك الدلال لم يمتد إلى أمه التي كان والده أحيانًا يُذكّرها - أمام ملك- أنه التقفها من الشوارع وستر عليها رغم كلام الناس، وأنه لولا إنجابها لملك لما كان ليحتمل نظرة الناس إليه، وأنه ربما أخطأ في زواجه منها. أم مَلِك أحبته كثيرًا واعتبرته أغلى شيء في حياتها، إلا أن شعورها بالعار دائمًا، دفعها إلى أن ترى في ابنها أداة توبتها في نظر المجتمع، لذلك أرادت أن يكون ابنها قديسًا كاملاً، فأرسلته إلى الجامع في صغره، ونشأ متدينًا، إلى سن الثامنة، حيث الحادثة التي غيّرت مجرى حياته إلى الأبد.

بعد الدرس الديني، طلب منه الشيخ البقاء بعد مغادرة الطلبة الآخرين بحجّة إعطائه درسًا إضافياً. في ذلك اليوم المشؤوم اعتدى عليه الشيخ، وعندما قاوم قال له: «لماذا تقاوم فأنت بلا شرف مثل أمك، فنحن نعرف من هي».
هكذا تحطم عالم ملك المثالي، ذلك الصفاء الذي كان يجده في البيت والجامع، صار ملوثًا بالسواد. لم يخبر أحدًا عمّا حدث معه لأنه رأى في ذلك فضيحة بحقه، صار يخاف المرور بالقرب من شارع الجامع في حيّه وعندما حاولت والدته إجباره على العودة قال لها أنه سينتحر إذا ما أصرت على موقفها. ذهبت الأم إلى الإمام لتسأله إذا كان يعرف سببًا لسلوك ملك، لكنه دعاها إلى بيته بكلامٍ مبطن. خافت أم ملك أن تخبر زوجها عن تلك الحادثة لكي لا يظن بها الظنون التي هي في غنى عنها واستسلمت للأمر الواقع. في وحدته، انكب ملك على قراءة قصص التاريخ الذي كانت والدته تقص بعضها عليه أحيانًا، وتركّز كيف أن أجداده كانوا فاتحين عظام. كانت قصصها تناقض حسه المنطقي، فهو لا يفهم لماذا يتكلم كتاب التاريخ عن الاحتلال الفرنسي ويسميه استعمارًا لكنه يثني على الفتوحات التي طمست هوية السكان الأصليين من الأمازيغ إلى حدٍ بعيد.

سام مار

في العاشرة بدأ ملك يخرج إلى الشارع ويختلط بالأطفال الآخرين، لكن سرعان ما اكتشف أن الحي كله يتكلم بالسوء عن أمه، ولم يمض وقتٌ طويل حتى صار بعض الأولاد يلقبونه بإبن العاهرة وأحيانًا باللقيط رغم أنه وُلد من «زواجٍ شرعي».

لقد فهم في سنٍ صغيرة أن عليه أن يطوّر أسلوب حياة ليستطيع التعايش مع واقعه. كان موهوبًا سريع البديهة، وعندما اصطحبه والده إلى المتجر أو المخبز في العطل المدرسية تعلّم كيف يتعامل الكبار. صار خفيف الظل ذو لسانٍ سليط، في الثالثة عشرة من العمر بدأ والده بتركه لإدارة الدكان في المساء، فكان يجلس فيه مع بقية الأولاد الذين بدؤوا بتقبُله لعدة أسباب، منها توفير مكان مريح لتجمعهم في الدكان بالاضافة إلى ردوده وقصصه وطريقة سرده المسلية وذات المغزى في نفس الوقت.

مع الأيام بدأت شخصيته القيادية بالظهور، وصار لديه مجموعة صغيرة من التابعين الذين طغت عليهم شخصيته القوية. في أحد الأيام دخلت فتاة محجبة في نفس عمره إلى الدكان لتشتري علبة سجائر لوالدها، عندما خرجت قال أحد الأولاد: ابنة الإمام جميلة، كيف يرسلها وحدها هكذا لشراء السجائر؟ لم يلاحظ أحد ردة فعل ملك على تلك المعلومة.

ترددت ابنة الإمام على الدكان بين فترة وفترة و بدأ ملك بتوقع مجيئها. في أحد الأمسيات اتفق مع اثنين من أتباعه المخلصين على فعلٍ رديء، وطلب من البقية المغادرة. عندما دخلت ابنة الإمام إلى الدكان، أغلق أحد رفقائه الباب مباشرةً. ثبتها رفيقه الآخر وكمّم فمها.

ملك: لدي سؤال، إذا أعطيتني الإجابة الصحيحة سأتركك، إذا صرختِ عندما يرفع رفيقي يده عن فمك فأقسم بأنني سأقتلك. فهمتِ؟

تومئ الفتاة المسكينة بالإيجاب.

ملك: ما الفرق بين أمك والعاهرة؟

الفتاة: أمك هي ال...

يوجّه ملك لطمة بكفٍ مفتوح مباشرةً إلى فمها ثم يكممها الولد الآخر مرة أُخرى.

ملك: ما الفرق بين أمك والعاهرة؟

سام مار

الفتاة وقد أبعد الولد الآخر يده عن فمها قليلاً: أرجوك لا تؤذني.

ملك: اخلع حجابها.
يقوم الولدان بخلع حجابها.

ملك: ما الفرق بين أمك والعاهرة؟

الفتاة: لا أعرف.

ملك: اخلع جلبابها.
تقاوم الفتاة وتحاول الصراخ لكن ملك يهددّها بسكين هذه المرة. الفتاة ترتجف بملابسها الداخلية.

ملك: ما الفرق بين أمك والعاهرة؟

يتبـــع في العـــدد القـــادم...

كاريكاتور

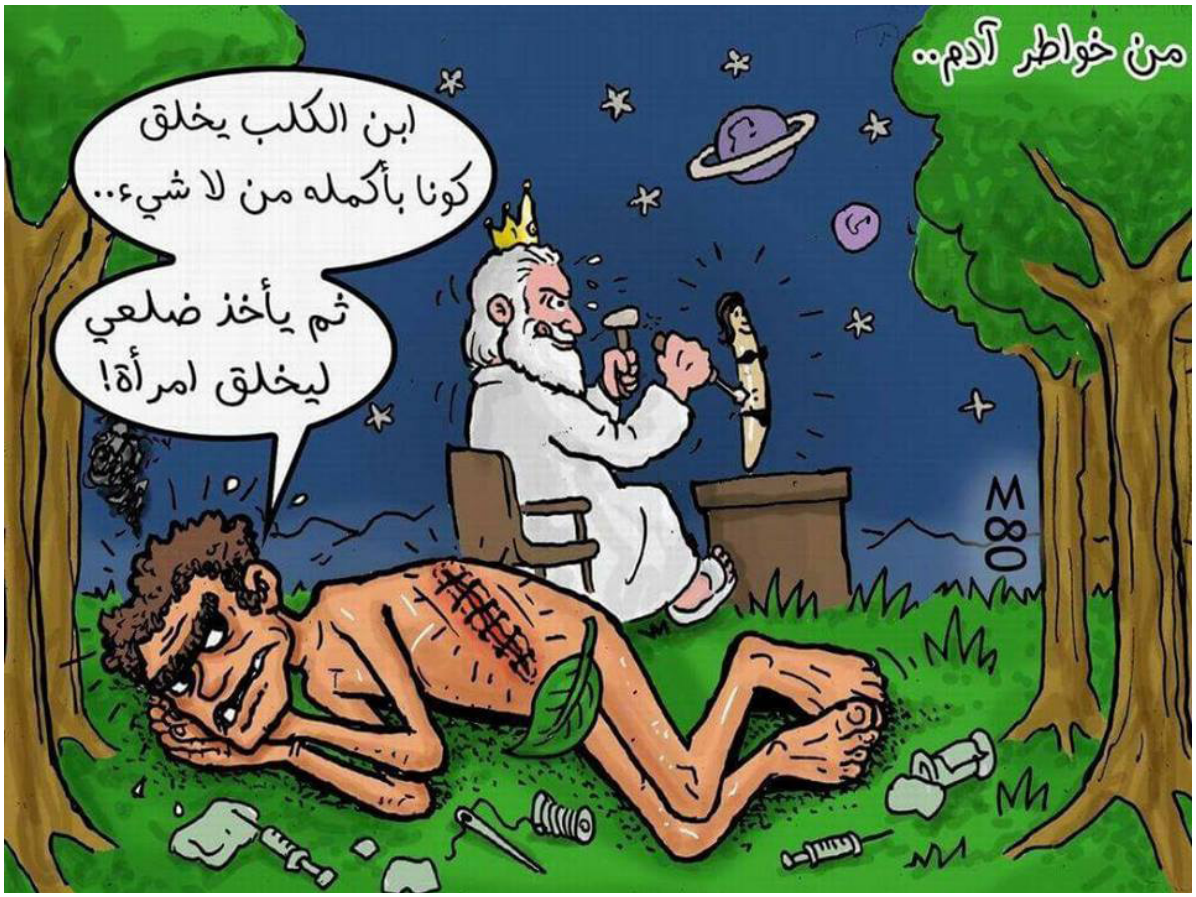

Baha Wissam

بعد نفاذ العجينة البشرية، الحاجة هي ام الاختراع.

شوكت كريمي

السخافة والبدائية هي أكبر دليل على بشرية القصة

Usama Al-Binni

تم جعل الحط من قدر المرأة جزء أساسي من قصة الخلق. أديان ذكورية بامتياز

Sterlling Yoko

فقدان المعيار ! وعشوائية الانطباع هو ما اراه

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

The Arab Atheists Magazine is a digital publication produced by volunteers and committed to promoting the thought and writings of atheists of various persuasions with complete freedom. The Magazine does not adopt or endorse any form of political ideology or affiliation

Contributors bear the full responsibility of the content, illustrations and topics they provide insofar as it covers copyright and issues of intellectual property

Express permission for to publish in the Magazine is provided by contributors, whether they are members of the Arab Atheists Magazine Group of other atheists and non-religious contributors

The Magazine does not publish material that is unethical or that incites racism or bigotry

The Editorial Board reserves the right to republish content originally published on the Magazine's Facebook group, as publishing there implicitly contains consent for republication in the Magazine

موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com
البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com
magazine@arabatheistbroadcasting.org

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي